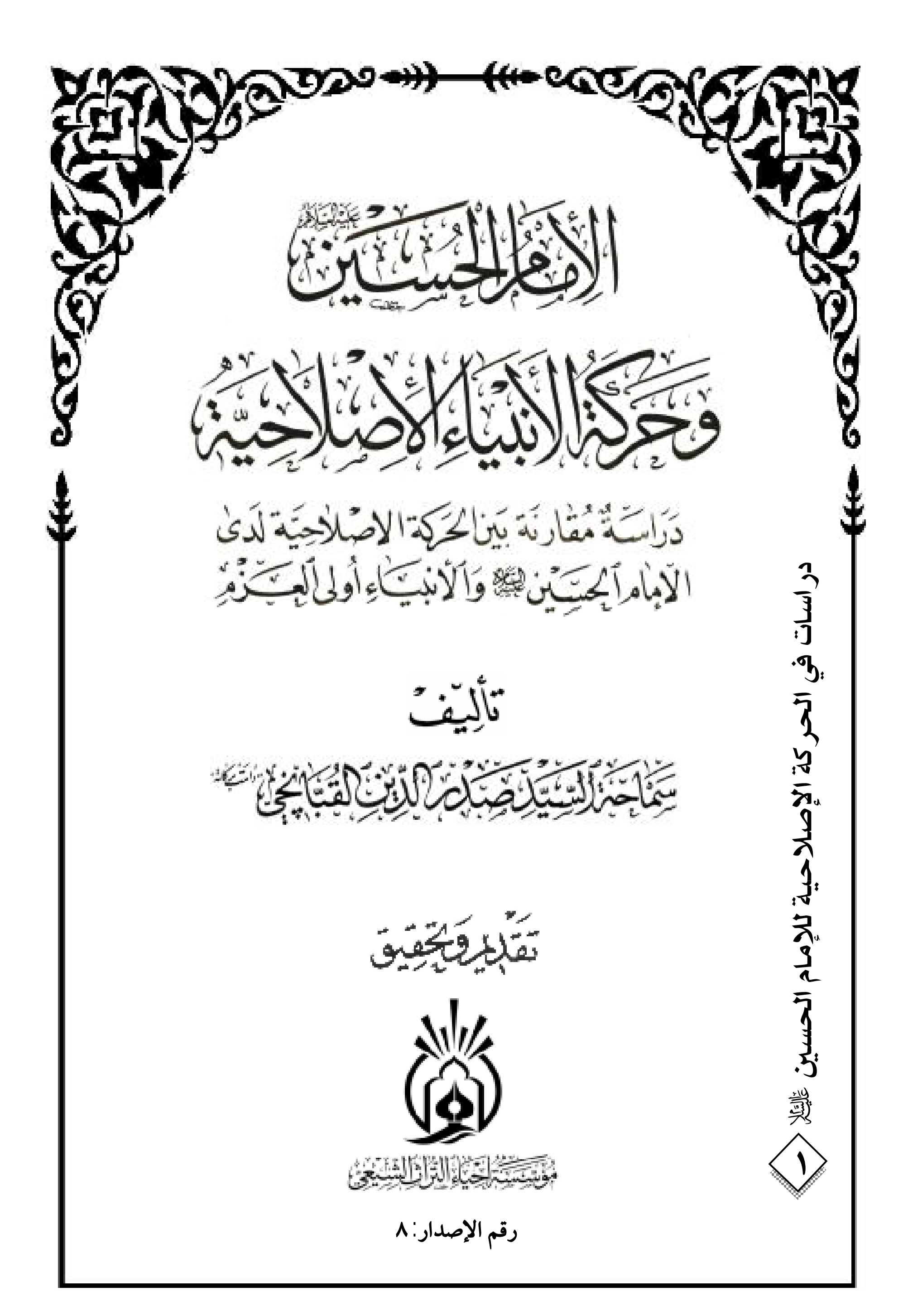

الإمام الحسين عليه السلام
وحركة الأنبياء الإصلاحية
دراسة مقارنة بين الحركة الإصلاحية لدى
الإمام الحسين عليه السلام والأنبياء أولي العزم
تأليف
سماحة السيد صدر الدين القبانچي دام ظله
تقديم وتحقيق
مؤسسة إحياء التراث الشيعي
رقم الإصدار: ٨
دراسات في الحركة الإصلاحية للإمام الحسين عليه السلام
١



مؤسسة إحياء التراث الشيعي
www.turathshiai.com
E-mail:info@turathshiai.com
النجف الأشرف
شارع الرسول ﷺ، محلة الحويش، الزقاق: ٥٤، الدار: ٢
هاتف: ٣٣٢٨١١ و٣٣٢٨١٣
ص.ب ٥٨٨

الإمام الحسين عليه السلام وحركة الأنبياء الإصلاحية
السيد صدر الدين القبانچي
رقم الإصدار: ٨
الطبعة الأولى: جمادى الأولى ١٤٢٨هـ
العدد: ٣٠٠٠ نسخة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤسسة:

ما أحوجنا أن نستجلي الحقائق التاريخية ونسبر أعماق التاريخ..! وما أحوجنا أن نجد العلاقة بين غابر الماضي السحيق وغابر المستقبل بكل معالمه الشاخصة لدينا من خلال معادلات التاريخ..! الإمام الحسين عليه السلام بشخصه أوّلاً، وبحركته ثانياً، لا يمثل محطةً تاريخيةً عابرة.. بل هو حركة لها جذورها البعيدة في ماض سحيق مرتبطة بحركة الاصلاح والتكامل المتمثلة في حركة الأنبياء والمرسلين.

الإمام الحسين عليه السلام لا يمثل واقعة تاريخية واحدة، بل هو قضية الأنبياء بتكاملها ونَضجها ورشدها الحقيقي.. فإذن ثورة الحسين عليه السلام خلاصة الجهد النبوي لنوح، لإبراهيم، لموسى، لعيسى، لمحمّد صلوات الله عليه وآله والأنبياء والمرسلين.

هذه المعادلات النبوية توضحها محاضرات العلامة السيد صدر الدين القبانچي التي ألقيت في محرم الحرام من عام (١٤٢٧هـ) في النجف الأشرف حيث يتطرق إلى العلاقة بين حركة الإمام الحسين عليه السلام وبين حركة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام. فهي علاقة ترابطية تكاملية، وليس علاقة تشابهية تجمعها المواقف المتشابهة فحسب، بل هي حلقات تربط بعضها بعضاً لتشكل سلسلة التكامل الصاعدة.

وهنا تتكفل هذه الوقفات ببيان النمط الترابطي بين الماضي السحيق والحاضر المعاش والمستقبل المنظور بأسلوب رائق جميل.

ومؤسسة إحياء التراث الشيعي إذ تثمن هذا الجهد المبارك، تأخذ على عاتقها نشر هذه المحاضرات ضمن سلسلة دراسات في الحركة الاصلاحية للإمام الحسين عليه السلام، سائلين المولى أن يوفق الجميع من أجل إحياء معالم تاريخنا الزاهر، وتراثنا التليد، إنه ولي التوفيق.

مدير المؤسسة

السيد محمّد القبانچي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف:

حركةُ الحسين عليه السلام هي امتداد لحركة الأنبياء عليهم السلام، وهي وإن اختلفت عنها ربّما في شكل الأحداث والوقائع، لكنها لا تختلف عنها في الأهداف وأصول المناهج.

وقد عملنا في هذه المحاضرات التي قدّمناها للمستمعين في النجف الأشرف خلال ليالي محرم الحرام من عام (١٤٢٧) للهجرة على أن نقدّم دراسة مقارنة تبدأ من نوح عليه السلام أبي الأنبياء وإلى الحسين عليه السلام سيد الشهداء مروراً بإبراهيم وموسى وعيسى ثمّ نبينا صلى الله عليه وآله.

وستكون هذه الدراسة هي القسم الأوّل من موسوعة تحت عنوان (دراسات في الحركة الإصلاحية للإمام الحسين عليه السلام).

بينما سيكون القسم الثاني مختصاً بالمقارنة المنهجيّة بدءً من عليّ عليه السلام سيد الأوصياء، إلى الحسين عليه السلام شهيد كربلاء.

فيما نأمل أن نوفق في القسم الثالث لتقديم دراسة مقارنة بين حركة الأئمّة الأطهار عليهم السلام وحركة الحسين عليه السلام أبي الأحرار.

أما القسم الرابع فهو محاضرات قدمناها في ليالي محرم الحرام لعام ١٤٢٦، للمقارنة بين حركة الإمام الحسين عليه السلام وحركة الإمام المهدي المنتظر عليه السلام.

نسأل الله أن يوفقنا لانجاز هذه الدراسة الموسوعيّة بلطفه وإحسانه.

السيد صدر الدين القبانجي

٢٣/ شعبان/ ١٤٢٧هـ

(١ / محرم الحرام / ١٤٢٧ هـ)

المحاضرة الأولى:

معالم الحركة الإصلاحيّة لدى نوح عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحسين عليه السلام والأنبياء عليهم السلام:

الإمام الحسين عليه السلام عند خروجه من مكّة المكرمة قال:

«الحمد لله وما شاء الله، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله، وصلى الله على رسوله وآله وسلم، خُطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقيه، كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء فيملأن مني أكراشاً جوفاً وأجربةً سُغباً، لا محيص عن يوم خُطّ بالقلم. رضا الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين».[1]

الإمام الحسين عليه السلام يربط حركته بحركة الأنبياء عليهم السلام.

في أوّل خطبةٍ خطبها عند خروجه من مكّة المكرمة، في اليوم الثامن من ذي الحجة، عندما دخل عمرو بن سعيد الوالي الأموي بجنودٍ لقتل الحسين عليه السلام ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة.

يقول في أوّل خطاب له وقبل أن يغادر مكّة المكرمة: «وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف» حيث ينقلنا الحسين عليه السلام إلى عمق التاريخ، إلى حركة يوسف ويعقوب عليهما السلام ويربط حركته بتلك الحركة.

وحديثنا في هذه الليالي باتجاه معرفة فلسفة هذا الترابط بين

---

(1) **عوالم الإمام الحسين عليه السلام: ٢١٦؛ البحار ٤٤: ٣٦٧؛ مثير الأحزان لابن نما: ٢٩.**

حركـة الحـسين وحركـة الأنبيـاء عليهم السلام وتحـت عنـوان (الحركـة الإصـلاحية من نوح عليه السلام أبي الأنبياء إلى الحسين عليه السلام سيد الشهداء).

مـرة أخـرى عنـدما أراد الحـسين عليه السلام الخـروج مـن المدينـة وعـرض عليه عبد الله بن عمر البقاء في المدينة المنورة أو مبايعة الحاكم الأموي.

الحـسين عليه السلام قـال لـه: «يـا عبـد الله إن مـن هـوان الـدنيا علـى الله، أن رأس يحيى بـن زكريـا يُهـدى إلـى بغـيّ مـن بغايـا بنـي إسـرائيل، وأن رأسـي يُهدى إلى بغيّ من بغايا بني أمية».[١]

أيـضاً هـذا ربـط وانتقـال إلـى يحيـى بـن زكريـا عليهما السلام، أي إن الحـسين عليه السلام يقـول بـأن حركتـه هـي حلقـة واحـدة مـن سلـسلة متـصلة هـي سلـسلة الأنبياء عليهم السلام، ويجري عليه ما يجري عليهم.

وفـي موضـع ثالـث الحـسين عليه السلام يقـول: «لـن تـشذّ عـن رسـول الله لُحمتـه وهـي مجموعـة لـه عنـد حـضيرة القـدس»[٢] حيـث يـربط حركتـه وموقفه وشخصيته برسول الله صلى الله عليه وآله.

حـديثنا عـن اكتـشاف هـذا التـرابط، بـين حركـة الحـسين وحركـة الأنبيـاء عليهم السلام، مـن خـلال عـرض تـاريخي فلـسفي لحركـة الأنبيـاء عليهم السلام ثـمّ ربطها بحركة الحسين عليه السلام.

ونحن نجد أن الأئمّة عليهم السلام أكدوا هذا الربط حينما نقرأ:

«الـسلام عليـك يـا وارث آدم صـفوة الله، الـسلام عليـك يـا وارث نـوح نبـي الله، الـسلام عليـك يـا وارث إبـراهيم خليـل الله، الـسلام عليـك يـا وارث موسـى كلـيم الله، الـسلام عليـك يـا وارث عيـسى روح الله، الـسلام عليـك يـا

(1) مثير الأحزان: ٢٩.
(2) بحار الأنوار ٤٤: ٣٦٧؛ نواعج الأشجان: ٧٠.

وارث محمّد حبيب الله»[1] هذا معناه أن الحسين عليه السلام هو حلقة في هذه السلسلة وليس عملاً مفصولاً عن حركة الأنبياء عليهم السلام.

حديثنا الليلة في مقطع من مقاطع مسيرة نوح عليه السلام الاصلاحية ثمّ اكتشاف أسس الحركة الاصلاحية عند الأنبياء عليهم السلام وما إذا كانت هذه الأسس موجودة في حركة الإمام الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام.

الحركة الاصلاحية:

الفهم الديني يقول: إن الحركة الاصلاحية ضرورة في المجتمع البشري، ولا يمكن للمجتمع البشري أن يتكامل بدون حركاتٍ اصلاحية، هذا الأمر في غاية الأهمية.

لماذا المجتمع الإنساني يحتاج إلى حركة اصلاحية؟ ولماذا تكون على يد الأنبياء عليهم السلام؟

لاحظوا هناك حركة تكاملية في كل الكون، كما إن هناك حركة تكاملية في الإنسان، لكن الحركة التكاملية في الكون هي حركة ذاتية قهرية وأمّا الحركة التكاملية في الإنسان فهي حركة إرداية اختيارية ﴿فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾،[2] أي اننا نفهم أن هذا الكون يتكامل ولا يتراجع سواءٌ الطبيعة أم الكائنات الحية، أو المجرات السماوية، هناك حركة تكامل في كل الوجود وهي حركة ذاتية.

فمثلاً النباتات تتكامل طبيعياً بحركة ذاتية فتمد جذورها إلى الأرض لتبحث عن الماء، وترفع أوراقها إلى السماء لتكتسب أشعة

---

(1) المزار: ٢٣٠؛ كامل الزيارات: ٣٧٥.

(2) الكهف: ٢٩.

الـشمس _ هـذه مـصادر الطاقـة _ هـذا النبـات يتحـرك ذاتيـاً لاكتـساب مصادر الطاقة لكي يستطيع أن ينمو ويتكامل.

العلـم الحـديث يكتـشف نجوماً فـي حـالات النـشوء، أي أنهـا مـا تـزال فـي حالـة جنينيـة، وهـي الآن عبـارة عـن قطـع غباريـة تحـاول أن تتكامـل وتتحول إلى نجم أو نجوم.

الله تبـارك وتعـالى أيـضاً يؤكـد أن هـذا الوجـود فـي تكامـل وفـي حركـة طبيعيـة، لاحظـوا دورة الطبيعـة _ شـتاء، ربيـع، صـيف، خريـف _ هـي دورة تكاملية ذاتية.

هـذا التحـرك الـذاتي والتكـاملي فـي الطبيعـة ربمـا نـراه فـي إشـاراتٍ قرآنيـة مثـل قولـه: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ * وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ * وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾[1] أي أن هنـاك نـسقاً متكـاملاً ومـسيراً ذاتيـاً ﴿الشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾،[2] الطبيعـة كلهـا هكـذا، فحركـة الطيـور ذاتيـة في هجرتها وذلك طلباً للطقس المناسب، والأسماك كـذلك فملايين منهـا تقطـع آلاف الكيلـومترات بحثاً عـن المـاء الـدافيء، لكـي تـضع بيوضـها ثـمّ تعود ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[3] باعتقادنا القرآني أن الكـون كلـه يمـشي بحركـةٍ تكامليـة ولـيس بحركـةٍ تراجعيـة، البحـث فـي هـذا ودلائله العلمية واسع جداً.

أمّـا الإنـسان هـذا الكـائن الحـي العاقـل الـذي جعلـه الله تعـالى خليفـةً فـي الأرض، هـذا الإنـسان أيـضاً يجـب أن يـشهد حيـاة تكامليـة ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ

(1) الرحمن: ٥ - ٧.
(2) يس: ٣٨.
(3) طه: ٥٠.

إلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ﴾[1] يجب أن يعيش تكاملاً، لكن هذا الإنسان بما أن الله تعالى أعطاه قدرات متميزة عن سائر الكائنات، ومن جملة تلك القدرات المتميزة العقل، ومن جملتها الإرادة، هنا أصبحت حركة التكامل أو الحركة الاصلاحية عند الإنسان ليست حركة ذاتية قهرية وإنما هي حركة إرادية يستطيع أن يتقدم فيها ويستطيع أن يتخلف عنها.

الإنسان طبيعياً يندفع لمعالجة الآلام، ودفع الأمراض، وكذلك بحركةٍ ذاتية يفر من الفقر والذل والبؤس ولا يحتاج بذلك إلى واعظٍ ومرشدٍ يرشده. فكل الناس يتجهون ذاتياً نحو السعادة والسرور والغنى والعافية، لكن في الجانب المعنوي، في قيم الإنسان ومعتقداته فإن الحركة التكاملية ليست ذاتية بل هي تحتاج إلى إسناد ودعم ووحي سماوي وتسديد إلهي.

لاحظوا إن هذا الأمر قد نشهد معالمه في القرآن الكريم حينما يقول: ﴿الرَّحْمنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإِنْسانَ * عَلَّمَهُ الْبَيانَ * الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبانٍ﴾[2] هناك حينما يطرح الشمس والقمر والنجم والشجر يتحدّث عن حركة ذاتية لكن حينما يتحدّث عن الإنسان يقول بأن عنده بيان وعلم وإرادة واختيار، هذا الأمر لعله هو الذي يفسر لنا ـ كما يقول المفسرون ـ من أين عرف الملائكة طبيعة الإنسان حينما أراد الله تعالى أن يستخلف الإنسان في الأرض. قال: ﴿إِنِّي جاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[3] فالملائكة فوراً اعترضوا وقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ﴾[4] من أين عرفوا؟ لماذا لم يقولوا هذا الكلام عن سائر

(1) الإنشقاق: ٦.
(2) الرحمن: ١ - ٦.
(3) البقرة: ٣٠.
(4) السابق.

المخلوقات الطبيعية؟ عرفوا ذلك من هذا التحليل أن هذا الإنسان يملك عقلاً وإرادة وليس مجبوراً ومقهوراً على التكامل، وإنما بامكانه أن يتكامل ﴿فَمَنِ اهْتَدى فَلِنَفْسِهِ﴾(١) وبامكانه أن يتسافل ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها﴾(٢) فإذا كان كذلك إذن هو سيُفسد في الأرض، لأنه غير مجبور على الصلاح والاصلاح، حينئذٍ الله تبارك وتعالى أوحى لهم ودلّهم على أن هذا الإنسان الذي سوف أجعله خليفة وأمنحه عقلاً وإرادة، سوف أمنحه إسناداً سماوياً إلهياً ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها﴾(٣) وهذا أوّل إسناد إلهي، والبحث واسع في معنى ما هي الأسماء.

الفكرة التي نريد أن نصل إليها هي أن الحركة التكاملية في الطبيعة هي حركة ذاتية فكل الطبيعة تتكامل من الأرض إلى النجوم لكن الحركة التكاملية في الإنسان ليست حركة ذاتية وإنما هي حركة إرادية واختيارية. إذن احتاجت إلى دعم إلهي وسماوي لأن العقل وحده والإرادة وحدها تخضع لضغوط مادية وتنهار أمام الضغوط المادية.

أحد تلك الضغوط المادية التي يصورها القرآن هي الشيطان، قال: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِراطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾(٤) أي إن عقدة الإنسان انه سيصطدم بمعوقات في الحركة الاصلاحية، وهو يحتاج إلى منقذ وهذا المنقذ هم الأنبياء عليهم السلام.

الحاجة إلى الأنبياء عليهم السلام:

هنا وصلنا إلى نظرية أن الأنبياء عليهم السلام ضرورة، الحركة الاصلاحية على يد الأنبياء عليهم السلام. ضرورة ولا يمكن للبشر أن يصلوا إلى التكامل

(1) الزمر: ٤١.
(2) السابق.
(3) البقرة: ٣١.
(4) الأعراف: ١٦.

بدون الأنبياء عليهم السلام ولهذا تكفل الله تعالى بهذا الجانب، وهنا جاءت نظرية أن بعث الأنبياء عليهم السلام لطف ضروري من الله تعالى.

القرآن يقول: ﴿وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾،[١] ﴿وَما كانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّها رَسُولاً﴾[٢] **الله تعالى يقول: أنا لا أسخط على هؤلاء الناس لأنهم غير قادرين على التكامل بدون إسناد إلهي، هذا فقط في الإنسان بخلاف سائر الوجودات الكونيّة.**

ويشبه الإنسان في هذه الخاصية وهي الحاجة إلى الأنبياء عليهم السلام في طريق التكامل مخلوق آخر مثله عنده عقل وإرادة وهو الجن، ولهذا في نظرية الأديان إن الأنبياء عليهم السلام مبعوثون للإنس والجن، مما يعني أن هناك مجتمعاً آخر اسمه مجتمع الجن أيضاً يحتاج إلى حركة نبوية اصلاحية، إلاّ انها يبدو تابعة لحركة البشر والنبي الذي يُبعث إلى البشر هو نفسه يُبعث للجن كما نقرأ في سورة الجن: ﴿فَقالُوا إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾[٣] **نفس القرآن الذي هو لنا، الجن أيضاً استمعوا إليه وقالوا إن من يؤمن به يهتدي رشداً، وهذا البحث نؤجله فعلاً، ونكتفي بالتأكيد على فكرة أن حركة الأنبياء عليهم السلام حركة إصلاحية وهي ضرورة لا يمكن للبشر أن يتكاملوا بدونها.**

حركة نوح عليه السلام الإصلاحيّة:

أوّل أولئك الأنبياء المصلحين هو نوح على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام، وهو أوّل الرسل أولي العزم وأنه صاحب رسالة إصلاحية.

---

(1) الإسراء: ١٥.

(2) القصص: ٥٩.

(3) الجن: ١ و٢.

هنـاك تـسعة آبـاء بـين نـوح وآدم عليهما السلام، أي أن آدم عليه السلام هـو الأب التاسـع لنـوح عليه السلام، الفاصـلة بـين ممـات آدم وولادة نـوح عليهما السلام هـي (٧١٢) سنة، فنـوح كمـا يقـول المفـسرون أنـه أوّل الأنبيـاء الرسـل _ أي لديـه رسـالة وشـريعة وكتـاب ودسـتور وقـانون _ والقـرآن الكـريم يـسجل هـذه القـضية أن هنـاك خمـسة أنبيـاء هـم أولـوا العـزم أي أصـحاب الرسـالات وهـم (نـوح، إبراهيم، موسى، عيسى عليهم السلام، ونبينا محمّد صلى الله عليه وآله).

نـوح عليه السلام تاريخيـاً يبـدو أنـه كـان فـي بـدايات تكـوّن المجتمـع الإنـساني، فقبـل نـوح عليه السلام كـان هنـاك مجتمـع لكنـه مجتمـع لـم يبلـغ إلـى حـد التعقيـد الاجتمـاعي الـذي يـشهد تنافسات وصـراعات، نـوح عليه السلام شـهد مجتمعاً معقداً فيه تنافسات برزت فيه.

ظاهرتان في مجتمع نوح:

لأوّل مـرة بـرزت ظاهرتـان وهـي ظـاهرة الوثنيـة، وظـاهرة الاسـتعباد، الوثنيـة تعنـي عبـادة الأوثـان. والاسـتعباد يعنـي طبقـات مختلفـة فالطبقـة الغنيـة تـستعبد الطبقـة الفقيـرة. ولهـذا نجـد أن نوحاً لـم يقـاوم ملكاً مـن الملوك مثل موسـى عليه السلام الـذي قـاوم فرعـون، لاحظـوا القـرآن الكـريم يتحـدث عـن نـوح عليه السلام وقومـه ولا يتحـدث عـن نـوح وملـك زمانـه، ويبـدو أنـه لا توجـد دولـة، تاريخيـاً نـستطيع أن نقـول إن نـوح عليه السلام عـاش مرحلـة المجتمـع بـدون دولـة وبــدون ملــك وحــاكم، مجتمــع عبــارة عــن طبقــات أو عــشائر أو شــرائح متعــددة عــاش معهــم نــوح، وبــرزت فــي هــذه الحالــة الاجتماعيــة ظــاهرة الوثنيـة وظـاهرة الاسـتعباد والطبقيـة، هـذا مـا نقـرؤه فـي التـصريحات الدينيـة والسياسية لنوح عليه السلام.

حينما نقرأ تصريحات هذا الإنسان العظيم نجد أنه يعالج ظاهرتين هما ظاهرة الشرك بالله وظاهرة الطبقية.

لاحظوا مثلاً أن القرآن الكريم يتحدّث عن نوح عليه السلام ويقول: ﴿وَمَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً * وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً﴾[١] **هذه أسماء أصنام،** ﴿فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾[٢] **نوح عليه السلام بدأ يعالج قومه قال:** ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[٣] **أي إن هذه الطبقة التي أنتم تستحقروها فأنا لا أؤيدكم باستحقارها، ولا أقول إن الله تعالى سوف لن يوفق هؤلاء لأنهم ضعفاء وفقراء، فربما يكون الخير كله على يد هذه الطبقة الفقيرة.**

منهج الحوار:

نوح عليه السلام في آليات حركته هو أوّل من استخدم وشق طريق الحوار العقلي أو الجدل والحوار الحر، لاحظوا حركة نوح عليه السلام مع قومه الذي لبث فيهم ألف سنةٍ إلاّ خمسين عاماً، القرآن لا يتحدّث عن حرب ومعركة، ولكن يتحدّث عن جدل عنيف وحوار بين نوح عليه السلام وقومه حتّى يئس منهم. هذه آلية الحوار أي آلية الاصلاح السلمي، يعني أن نوحاً في رسالته الإصلاحية اعتمد آلية الاصلاح السلمي.

يقول نوح عليه السلام بعد ألف سنة إلاّ خمسين عاماً: ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ

(1) نوح: ٢٣.
(2) هود: ٢٧.
(3) هود: ٢٩.

قَوْمِي لَيْلاً وَنَهاراً * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائِي إِلَّا فِراراً * وَإِنِّي كُلَّما دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْباراً﴾[1] **لقد أصبح نوح عليه السلام يتحدّث عن الازمة ويقول على لسان قومه:** ﴿قالُوا يا نُوحُ قَدْ جادَلْتَنا فَأَكْثَرْتَ جِدالَنا فَأْتِنا بِما تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[2] **أي انك تؤمن بالله ونحن لا نؤمن بالله، وتؤمن بالمساواة الاجتماعية ونحن نؤمن بالطبقية، إذا كنت صادقاً فادعُ ربك أن ينزل علينا عذاباً من السماء، نحن لا نخضع للأدوات العلمية والمنطقية،** ﴿قالَ إِنَّما يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شاءَ وَما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ * وَلا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ﴾[3] **أي أن نوحاً عليه السلام وصل إلى الطريق المغلق معهم وقد أكدّ الله سبحانه وتعالى له فقال:** ﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾[4] **حينئذٍ قال نوح عليه السلام:** ﴿رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّاراً * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلَّا فاجِراً كَفَّاراً﴾[5] **هنا لاحظوا أن نوحاً عليه السلام لم يخض حرباً مسلحة وإنما التجأ إلى العقاب الإلهي وإلى قوة ما وراء الطبيعة، لأن هؤلاء يقفون حجر عثرة في طريق التكامل البشري وهذا الجيل الذي عاشه نوح عليه السلام يجب أن ينتهي لأن حركة التكامل البشري لا يمكن أن تستمر مع وجود هذا الجيل، وكما جاء في القرآن على لسان نوح عليه السلام:** ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَكَ﴾ **يعني لا توجد حركة تكامل وسوف**

---

(1) نوح: ٥ - ٧.

(2) هود: ٣٢.

(3) هود: ٣٣ و٣٤.

(4) هود: ٣٦.

(5) نوح: ٢٦ و٢٧.

يكونون سداً منيعاً أمام تكامل الإنسان الذي خلقه الله تعالى خليفة، هذه المجموعة المصابة بعقم الهداية، هؤلاء يجب أن ينتهوا وتفتح الصفحة لجيلٍ بشري جديد والذي أخذ أصوله نوح عليه السلام في سفينته، ولهذا يقول القرآن: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ﴾(1) فالبركة ظهرت فيما بعد، أي في الأجيال الآتية التي جاءت بعد نوح عليه السلام.

أوّل من فتح باب التشريع:

نوح عليه السلام كان من الصالحين. وله الفضل على جميع البشرية، وإن جميع الشرائع التوحيدية هي تابعة إلى نوح عليه السلام، فأوّل من شرَّع الشريعة الإلهية هو نوح، بعده إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ونبينا صلى الله عليه وآله ولهذا القرآن الكريم يتحدّث عن هذا الأمر قائلاً: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ﴾(2) البداية كانت من نوح ثمّ إلى إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وهم الأنبياء أولوا العزم.

المفسرون ـ وبالخصوص ـ العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان له إلتفاتة رائعة يقول: لاحظوا قوله تعالى: ﴿سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي العَالَمِينَ﴾(3) أي تحية وسلام على نوح عليه السلام في كل الخط العالمي البشري ـ في العالَمين ـ فله فضل عليهم، هذا النمط من السلام لم يأت لنبي من الأنبياء، يوجد سلام آخر مثل ﴿وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ﴾(4) و﴿سَلامٌ عَلَى

(1) الصافات: ١٠٨.
(2) النساء: ١٣٦.
(3) الصافات: ٧٩.
(4) مريم: ٣٣.

إِلْياسِينَ * إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[1] **ولكن ليس في العالمين، هذا تخصيص لنوح على نبينا وآله وعليه أفضل الصلاة والسلام.**[2]

أدب البسملة:

نوح عليه السلام أوّل من بدأ بشعار بسم الله الرحمن الرحيم أو بسم الله، نحن الآن في عُرفنا الديني نبدأ كل عمل بـ (بسم الله). وأوّل من بدأ هذه السُنّة هو نوح عليه السلام وذلك كما يشير إليه القرآن الكريم حيث قال: ﴿وَقالَ ارْكَبُوا فِيها بِسْمِ اللَّهِ مَجْراها وَمُرْساها﴾.[3]

سفينة نوح:

وبهذه المناسبة أذكر لكم أن نوحاً عليه السلام لما قال: ﴿ارْكَبُوا فِيها بِسْمِ اللَّهِ مَجْراها وَمُرْساها﴾ **وأخذ من كلّ زوجين اثنين، وجماعته المؤمنين وهم قلة طبعاً، وتخلف عنه ابنه وقال:** ﴿سَآوِي إِلى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْماءِ قالَ لا عاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ﴾[4] **التاريخ يقول كما في رواية التوراة إن السفينة بقيت أربعين يوماً على سطح الماء. وبعد هذه المدة أرسل نوح عليه السلام غراباً ليعرف هل هناك أرض يابسة أم لا، الغراب تلكأ ولم يتقدّم كثيراً، فاستبدله نوح بحمامة ورجعت هذه الحمامة ولم تأو إلى أرض يابسة، وبعد أسبوع أرسل حمامة أخرى فذهبت بعيداً وجاءت بورقة زيتون (وهذه هي فلسفة شعار ورقة الزيتون كشعار للسلام) فعرف نوح من ذلك أنه بدأ الجفاف وأن المياه بدأت تجف حيث ظهرت**

---

(1) الصافات: ١٣٠ و١٣١.

(2) أنظر: الميزان في تفسير القرآن ٥: ٣٢.

(3) هود: ٤١.

(4) هود: ٤٣.

الأشجار، ثمّ بعد أسبوع أرسل حمامة أخرى فلم تعد إليه لأنها وجدت أرضاً وأشجاراً وبقيت هناك، ثمّ نزل نوح عليه السلام وبدأت المسيرة الجديدة، هذا حسب رواية التوراة.[1]

الجدل العقلي والحوار العلمي الحر أوّل من فتحه هو نوح عليه السلام. أنظروا ماذا يقول: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً * وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَباتاً * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيها وَيُخْرِجُكُمْ إِخْراجاً﴾.[2] **جدل وحوار علمي ومنطقي، واستخدام العقل إلى جانب الشرائع الإلهية، هذه هي الآليات التي استخدمها نوح عليه السلام في مواجهة الشرك العقيدي، ومواجهة الظلم الطبقي.** ﴿يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾،[3] **الأديان جوهر دعوتها هو الابتعاد عن الظلم، وهذه هي خلاصة دعوة الأنبياء عليهم السلام لانقاذ الإنسان والبشرية من الظلم ومن الشرك.**

نوح والحسين عليهما السلام:

ننتقل إلى الإمام الحسين عليه السلام.

الإمام الحسين عليه السلام يضع نفسه موضع الوارث لحركة الأنبياء عليهم السلام بدءاً من آدم عليه السلام كنبي ثمّ إلى نوح عليه السلام كأوّل الرسل أولي العزم وأصحاب الشرائع.

لننظر للحسين عليه السلام ماذا عمل؟ وما هي آليات وأدوات (وما يصطلح عليه اليوم بأجندة) الإمام الحسين عليه السلام في الحركة الاصلاحية.

(1) قاموس الكتاب المقدس: ٢١٩ (سفر التكوين/ مزمور ٥٥: ٦ - ٨).
(2) نوح: ١٥ - ١٨.
(3) لقمان: ١٣.

كان الإمام الحسين عليه السلام يهدف إلى حركة إصلاحية حين قال: «إنما خرجت لطلب الاصلاح في أمّة جدي، خرجت لآمر بالمعروف وأنهى عن المنكر»[١] هذه الحركة الاصلاحية يجدها الإمام الحسين عليه السلام ضرورة، ولا بدّ لمثل الحسين عليه السلام أن يقود راية الحركة الاصلاحية ولا يمكن للأمّة أن تتكامل بدون حركة إصلاحية مدعومة إلهياً.

مشكلات الأمّة:

الإمام الحسين عليه السلام واجه في حركته الاصلاحية مشكلتين عند الأمّة:

المشكلة الأولى: هي مشكلة فقد القدرة على التمييز.

والمشكلة الثانية: هي فقد إرادة التغيير.

أمّة غير قادرة على أن تميز ما هو الحق وما هو الباطل، أو ما ينفعها وما يضرها. هذا أخطر الأمراض. إن أمّة من الأمم تكون غير قادرة على التمييز لهي مثل الطفل الذي لا يميز بين الماء والنفط فمن الطبيعي أن يحتاج إلى أم وأب ليرشدوه وإلاّ فإنه سوف يشرب النفط ويهلك.

الأمّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أصيبت بحركة تحريف وكانت تحتاج إلى حركة تصحيح، الخط النفاقي قاد حركة التحريف والخط العلوي قاد حركة التصحيح، الأمّة بعد حركة التحريف أُبتليت بمرضين، المرض الأوّل هو فقد القدرة على التميز والمرض الثاني هو فقد إرادة التغيير.

فقد القدرة على التمييز:

معاوية أرسل رسولاً إلى الإمام عليّ عليه السلام يقول له: اني أقاتلك

(1) بحار الأنوار عن الإرشاد للمفيد: ٣٢٩؛ لواعج الأشجان: ٣٠.

بمجموعة لا يميزون بين الناقة والجمل،[1] أي ليس لديهم قدرة تمييز، وهم كالعميان والعبيد. ولهذا حينما قُتل عمّار بن ياسر وكان رسول الله صلى الله عليه وآله قد قال: «عمّار تقتله الفئة الباغية»[2] حدث شيء من القلق في جيش الشام وعرفوا بأنهم هم الفئة الباغية، لاحظوا العمى الذي أصاب الناس حينها، حيث تحركت عليهم فضائيات إعلامية يومئذٍ وقالوا: أنتم لم تقتلوه بل قتله ذاك الذي أرسله، ان الذي قتل عمّار هو عليّ عليه السلام وليس معاوية. وهكذا انطلت عليهم الشبهة واقتنعوا بأنهم ليسوا من قتل عمّار بن ياسر، وأن عليّاً عليه السلام هو الذي قتله،[3] بأدنى حركة اعلامية تضليلية انتهت قدرتهم على التمييز، هذا معنى فقد القدرة على التمييز.

الشعب إذا فقد القدرة على التمييز ينتهي، وانتهت حضارات وشعوب لأنها لا تملك قدرة على التمييز بين الحق والباطل.

كانوا يقولون للإمام عليّ عليه السلام: يا أبا الحسن ما الدليل على انك على حق؟ أنت صهر رسول الله صلى الله عليه وآله وعائشة أيضاً زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله فليس معلوماً أن تكون أنت الأفضل، إذا كانت المقاييس هي الانتساب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فكلاكما أنت وعائشة سواء في هذه النسبة، لاحِظوا ليس لديهم قدرة على التمييز وليس لديهم أدوات يميزون بها.

الإمام عليه السلام أشار لهم إلى ضرورة استخدام أدوات صحيحة حقيقية فقال: «إعرف الحق تعرف أهله»[4] يعني إن القضية أوّلاً أن

(1) الغدير ١٠: ١٩٦.

(2) مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ٢: ٣٥٠؛ صحيح البخاري ٣: ٢٠٧ ؛ كنز العمال ١١: ٧٢٢.

(3) البحار ٣٣: ٧.

(4) روضة الواعظين: ٣١؛ أنساب الأشراف: ٢٧٤؛ بحار الأنوار ٤٠: ١٢٦ عن الطرائف.

تعرفوا الحق، حينئذٍ يكون لديكم بصيرة وعين ومجهر لكي تنظروا به الحق وتعرفوا من هو تابع الحق ومن هو المنحرف عن الحق.

الأمّة في زمن الحسين عليه السلام كتسلسل وتراكم أصيبت بفقد القدرة على التمييز وهذا حديث واسع جداً ومحرم الحرام يجب أن يمتليء بهذه الأحاديث ذات البعد والوعي التاريخي والسياسي، لأننا نعيش حاجة مستمرة إلى القدرة على التمييز. وأحد نقاط القوة لدى الشيعة هو امتلاك القدرة على التمييز.

ذلك الذي يحمل رأس الحسين عليه السلام إلى الشام قال ليزيد بن معاوية:

إملأ ركابي فضةً أو ذهبا ... اني قتلت السيد المحجبا

قتلت خير الناس أماً وأبا[1]

فقال له: إذا كنت تعرف أن هذا السيد المحجَّب هو خير الناس أماً وأباً فلماذا قتلته؟

فقد إرادة التغيير:

وهي المشكلة الثانية التي واجهها الإمام الحسين عليه السلام في تلك الأمّة، أي أن هؤلاء حتّى وإن امتلكوا شيئاً من القدرة على التمييز فليس لديهم إرادة التغيير. لديهم خوف وانهيار وهو ما يسمى اليوم بالاحباط والهزيمة النفسية أنه لا أمل في النصر، ابن سعد قائد قوات مسلحة مكونة من ثلاثين ألف مقاتل، بامكانه أن يغيّر المسير كله، لكنه يفقد الإرادة رغم أنه لم يؤمن بشرعية الحرب ضد الحسين عليه السلام.

ومن الأدوات التي استخدمها الإمام الحسين عليه السلام في المعركة كما استخدمها نوح على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام هي الحوار والجدل العلمي.

---

(1) مقاتل الطالبيين: ٨٠.

والإمام الحسين عليه السلام في كل موضع كان يستطيع أن يحاور، دخل في حوار. وفي كل موضع كان يستطيع أن يحرّك الفطرة، ذهب ليحرك الفطرة. إلاّ إذا اصطدم بفطرة عمياء ميّتة مثل ما هو موجود في ابن سعد.

الإمام الحسين عليه السلام أرسل إلى ابن سعد ليتكلم معه فخرج ابن سعد ومعه عشرون شخصاً ومعه ابنه وغلامه، والحسين عليه السلام أيضاً معه عشرون شخصاً ومعه عليّ الأكبر والعبّاس عليهما السلام والتقوا في منطقة وسطية وانسحب من معهما وبقي الحسين عليه السلام وبقي ابن سعد.

قال له الحسين عليه السلام: «ألا تترك هؤلاء وتلحق بي فهذه فرصة وأنت تعرفني من أنا»، لاحظوا ابن سعد ما كان جوابه، ما كان يقول للإمام عليه السلام بأن حركتك باطلة، أو أنت على خطأ، وان لدي أدلة علمية، بل قال: أخاف أن تُهدم داري! يعني هو مستعد أن يقتل الحسين ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يعلم بأنه يرتكب أكبر جناية في التاريخ لمجرد أنه يخاف أن يهدم بن زياد داره.

قال له الحسين عليه السلام: «أنا أبنيها لك».

قال: أخاف أن يأخذ ضَيعتي.

قال له الإمام عليه السلام: «أنا أعطيك مما عندي في المدينة».

لاحِظوا أن الحسين عليه السلام يدخل معه في حوار، لكن حوار مع ضمير ميّت بدون جدوى، فيأسَ منه. وهنا دعا الإمام الحسين عليه السلام عليه قائلاً: «لا أكلت من بُر العراق كثيراً».

قال ابن سعد: إن في الشعير كفاية.[1]

هذا مستوى قائد قوات قد فقد الإرادة على التغيير.

---

(1) مدينة المعاجز ٣: ٤٨٢.

كان امتياز أصحاب الحسين عليه السلام ومنهم الحر الرياحي هو امتلاك التميز والإرداة على التغيير.

الحركة التصحيحيّة:

الإمام الحسين عليه السلام في حركته الاصلاحية كان يهدف إلى اعادة القدرة على التمييز واعادة روح الإرادة عند الأمّة.

حركة التحريف تحتاج إلى حركة تصحيح تقابلها.

محاور حركة التصحيح:

الإمام الحسين عليه السلام قاد حركة التصحيح في محورين هما: محور الأمّة، ومحور الإمامة. الأمّة تحتاج إلى تصحيح والحكومة هي أيضاً تحتاج إلى تصحيح.

الإمام الحسين عليه السلام كان يمشي ويشع بنور التصحيح على مستوى الأمّة والإمامة، مرةً يقول: «لعمري ما الإمام إلاّ الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط»، هذه هي شروط الإمام الحاكم، أيها الاخوة. أيها المسلمون، الإمام له شروط وهذه هي شروطه، «ويزيد شارب الخمور وقاتل النفس المحترمة ومثلي لا يبايع مثله»،[1] هذه حركة تصحيح في موقع الإمامة.

من ناحية ثانية الإمام الحسين عليه السلام يشع أنواراً من خلال تصريحاته وخطبه ورسائله، لكي يستنهض الأمّة ويحركها ويعطيها إرادة حينما يقول: «ألا وان الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين».[2]

---

(1) أنظر: البحار ٤٤: ٣٢٥.

(2) صحيفة الحسين عليه السلام: ٢٩٦.

الخطاب السياسي للإمام الحسين عليه السلام:

في يوم عاشوراء كان الإمام الحسين عليه السلام قد خطب ثلاث خطب.

لماذا يخطب؟ تلك هي آليات حركة الإمام الحسين عليه السلام الاصلاحية كما هي الحركة الاصلاحية لدى كل الأنبياء عليهم السلام، أوّل آلية من آليات الحركة الاصلاحية هي استخدام التوعية والموعظة. ولهذا فإن فقهاءنا يقولون في باب الجهاد: يجب قبل القتال الموعظة أوّلاً والدعوة إلى دين الله، ثمّ يأتي القتال بعد اليأس من نجاح الدعوة، فالقتال هو حالة متأخرة وليس حالة متقدمة.

الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء خطب القوم ثلاث مرات، قال في بعضها: «انسبوني من أنا ثمّ ارجعوا إلى أنفسكم فعاتبوها أليس محمّد رسول الله جدي، أليس عليّ الوصي أبي، أليس قال رسول الله فيَّ وفي أخي الحسن: هذان سيدا شباب أهل الجنّة فإن كذبتموني فإن فيكم من إذا سألتموه أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري وسلوا أنس بن مالك وسلوا أبا سعيد الخدري فانهم سيخبرونكم بأنهم سمعوا ذلك من رسول الله».

ثمّ قال لهم: «فإن كذبتموني أفتشكون أني ابن بنت نبيكم؟ فوالله ليس بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي فيكم ولا في غيركم سواي أبقتيلٍ قتلته فيكم تطلبوني أم بمال استهلكته فيكم؟» فاصبحوا لا جواب لهم.[1]

التاسع من محرم الحرام:

يقول المؤرخون لما كان التاسع من المحرم الحرام أمر ابن سعد الخيول بالزحف على خيام الحسين عليه السلام فزحفت الخيل وقاربت المخيم، فقالت العقيلة

(1) تاريخ الطبري ٤: ٣٢٣؛ لواعج الأشجان: ١٢٧.

زينب للحسين عليه السلام: إن القوم قد اقتربوا منا، فالتفت الحسين عليه السلام إلى أخيه أبا الفضل قال: أخي أبا الفضل بنفسي أنت اركب إليهم وانظر ماذا يريدون؟

أقبل إليهم أبو الفضل، سألهم عمّا يريدون.

قالوا: جاء أمر الأمير ابن زياد إما أن تنزلوا على حكم الأمير، أو نناجزكم الحرب.

رجع العبّاس إلى الحسين عليه السلام وأخبره بذلك.

قال: أطلب منهم أن يمهلونا هذه الليلة لعلنا نصلي إلى ربنا، فإن ربي يعلم أني أحب الصلاة والقرآن وكثرة الاستغفار.

عاد إليهم العبّاس عليه السلام، وطلب منهم المهلة، قال قائلهم: أما والله لو كانوا من الترك أو الديلم لأمهلناهم.

أمهلوهم تلك الليلة فكانوا بين قائم وقاعد وراكع وساجد.

الحسين عليه السلام في تلك الليلة سُمع وهو يقول: «يا دهر أُفٍّ لك من خليلِ»، إمامنا زين العابدين عليه السلام يقول: «سمعت أبي الحسين وهو ينشد ويقول:

يا دهرُ أُفٍّ لكَ من خليلِ ... كم لكَ بالاشراقِ والأصيلِ
من صاحبٍ وطالبٍ قتيلِ ... وكلُّ حيٍّ سالكٌ سبيلي

وإنما الأمرُ إلى الجليلِ

علمت أن الحسين ينعى نفسه فأخذتني العبرة، ولكن ملكت نفسي، أما عمّتي زينب فإنها امرأة ومن شأن النساء الرقة لما سمعت ذلك صاحت:

وا غوثاه وا ضيعتنا بعدك يا أبا عبد الله».

إنا لله وإنا إليه راجعون ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾.

* * *

(٢ / محرم الحرام / ١٤٢٧ هـ)

المحاضرة الثانية:

معالم الحركة الاصلاحيّة لدى إبراهيم عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا ذَا تَعْبُدُونَ * أَئِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللهِ تُرِيدُونَ * فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.[1]

قال إمامنا الحسين عليه السلام: «ألا ومن كانَ باذلاً فينا مهجته موطّناً على لقاء الله نفسهُ، فليرحل معنا فأني راحل مصبحاً إن شاء الله».[2]

* * *

حديثنا عن الحركة الاصلاحية والتجربة التغييرية للأنبياء عليهم السلام.

بدءاً من نوح عليه السلام أبي الأنبياء وحتّى الحسين عليه السلام سيد الشهداء، هذه الليلة حديثنا عن تجربة إبراهيم الخليل عليه السلام، تحدّثنا سابقاً عن الحركة الاصلاحية لنوح على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام بشكل موجز وخطوط عريضة.

ما هي معالم حركة نوح عليه السلام؟

ما هي الأهداف التاريخية والتغيرية حسب ما يذكره القرآن؟، أشرنا إلى هدفين:

الهدف الأوّل: نبذ الوثنية.

الهدف الثاني: نبذ الاستعباد والطبقية.

ثمّ تحدّثنا عن آليات تجربة نوح عليه السلام أبي الأنبياء وحركته

(1) الصافات: ٨٣ - ٨٧.

(2) مثير الأحزان: ٢٩.

الاصلاحية. وكان على رأس تلك الآليات الحوار المفتوح، والصبر، والمواصلة، لأجل تحقيق عملية لتغيير.

تجربة إبراهيم عليه السلام:

اليوم حديثنا عن تجربة إبراهيم على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام، وهو ثاني الأنبياء من أولي العزم. النبي الأوّل الذي حمل رسالة وتشريعاً للبشرية هو نوح عليه السلام، وبعد فاصلةٍ تزيد على سبعمائة وتسعين عاماً جاءت الرسالة الثانية الاصلاحية التغييرية الإلهية وهي رسالة إبراهيم عليه السلام الذي عاش من العمر مئة وخمسة وسبعين عاماً. وفي اعتقادي إن هذه الأبحاث هي في غاية العمق، لكن أنا مضطر لتبسيطها ولتناول عناوين منها، وذكر بعض القصص التاريخية فيها حتّى يكون الجو متماسكاً بما فيه من قرآن وتاريخ وموعظة ثمّ نصل للحسين عليه السلام.

شخصيّة إبراهيم عليه السلام:

ليس الحديث عن شخصية إبراهيم عليه السلام في هذه المحاضرات، شخصيته المتميزة من بين الأنبياء عليهم السلام، لا نلاحظ في القرآن الكريم تسليطاً للضوء وتمييزاً لنبي من الأنبياء، كما جاء لإبراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام.

القرآن مرةً يقول: ﴿إِنَّ إِبْراهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾.(١)

ومرة يقول: ﴿وَاتَّخَذَ اللهُ إبراهيم خَلِيلاً﴾.(٢)

---

(1) هود: ٧٥.

(2) النساء: ١٢٥.

وتارةً يقول: ﴿إِنَّهُ كانَ صِدِّيقاً نَبِيًّا﴾.(١)

وأخرى يقول: ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾.(٢)

تميّز ولمعان في تاريخ الأنبياء عليهم السلام خاص بشخصية إبراهيم عليه السلام حتّى وصلنا إلى أن القرآن الكريم يعتبر إبراهيم عليه السلام هو أصل الإسلام وهو أبوكم ونبيكم حيث يقول: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾(٣) **ثمّ يقول:** ﴿ما كانَ إِبْراهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرانِيًّا وَلكِنْ كانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.(٤)

الحنيفيّة الكبرى:

هناك تميز مخصوص يرجع إلى ابداع في شخصية إبراهيم عليه السلام، من أجل ذلك كانت مسألة الصراع على شخصية إبراهيم عليه السلام، اليهود يريدون أن يستميلوا إبراهيم عليه السلام إليهم، النصارى يريدون أن يستميلوا إبراهيم عليه السلام إليهم، الإسلام يقول: إبراهيم عليه السلام لا لليهود ولا إلى النصارى، وإنما هو أصل الحنيفية الكبرى التي هي عبارة عن دين النقاء والطهارة والإسلام لله بمعناه العام.

نشوء المجتمع السياسي:

حديثنا هذه الليلة عن الحركة التي قادها إبراهيم عليه السلام وتجربته.

لقد عاش عليه السلام عهداً بشرياً جديداً كما يبدو تاريخياً، هذا العهد الذي عاشه هو بداية لتأسيس المجتمع السياسي، أي انه ما قبل إبراهيم عليه السلام لم يكن هناك مجتمع سياسي، كانت عشائر وقرى تعيش هنا وهناك، لكن في عهد

---

(1) مريم: ٤١.

(2) البقرة: ١٣٠.

(3) الحج: ٧٨.

(4) آل عمران: ٦٧.

إبراهيم عليه السلام شهدنا ملكاً ومؤسسات دولة، وضرائب وجنود يأخذون الضرائب من الناس، بدايات تشكيل المجتمع السياسي، بينما أمس تحدّثت لكم إن نوح على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، لم يواجه ملكاً، وإنما كان يواجه قوماً، لكن الآن وفي زمن إبراهيم عليه السلام أصبحنا نجد هناك ملكاً في العراق وفلسطين ومصر لأن إبراهيم عليه السلام هو وليد العراق، أو بالأحرى هو وليد منطقة من أطراف الكوفة، ثمّ ارتحل من هذه المنطقة إلى أور، ثمّ إلى فلسطين، ثمّ إلى مصر، هذه رحلة إبراهيم عليه السلام، إذن هو قد عاش بداية تكون المجتمع السياسي. وتاريخ إبراهيم عليه السلام بالنسبة لنا يمتد إلى أربعة آلاف عام. وهذا التاريخ هو تاريخ حمورابي، وكان مقارناً لظهور الشرائع وهنا كانت شريعة حمورابي: الشريعة العلمانية وليست الإلهية، وجاء إبراهيم ليعطي شريعة إلهية، حيث كانت هذه المدة هي الفاصلة بيننا وبين إبراهيم عليه السلام.

أهداف إبراهيم عليه السلام:

ما هي أهداف تجربة إبراهيم عليه السلام؟

وما هو منهجه؟

إبراهيم كان له هدفان:

الهدف الأوّل: التوحيد ومحاربة الأصنام، كما سنقرأ ذلك في القرآن الكريم.

الهدف الثاني: بناء المجتمع الصالح على أُسُس صالحة سُمّيت بالحنيفية، ﴿وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً﴾.(١)

هناك شيء اسمه الحنيفية.

---

(1) آل عمران: ٦٧.

وهذا في الحقيقة اصطلاح جديد، كما هو في زماننا حيث عندنا اصطلاح ديمقراطية واشتراكية. إبراهيم عليه السلام جاء بالديانة الحنيفية، وأصلها اللغوي: الطهر والطهارة أي الطهر والنقاء، هذه هي الأُسُس التي دعا إليها إبراهيم عليه السلام، دعا إلى تشكيل المجتمع على هذه الأُسُس.

معالم المنهج الإبراهيمي:

ما هو المنهج؟ هناك خمسة معالم لمنهج إبراهيم عليه السلام:

المعلم الأوّل: اعتماد اسلوب الحوار والدليل العلمي.

المعلم الثاني: التحدي الميداني والدخول في مواجهة.

المعلم الثالث: التركيز على القيم الأخلاقية والسنن الصالحة.

المعلم الرابع: عدم الدخول في مواجهة الملك والسلطان.

المعلم الخامس: البراءة من أعداء الله والهجرة والمقاطعة لهم.

نتحدّث عنها بشكل موجز.

المعلم الأوّل: الحوار:

إبراهيم عليه السلام يؤمن بالحوار والمناقشة الحرة، حتّى على مستوى الإيمان بالله تبارك وتعالى لاحظوا قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إبراهيم﴾ **أيها الناس اطلعوا على مسيرة أنبيائكم، اعرفوا حركة أنبيائكم الاصلاحية وماذا عملوا** ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إبراهيم * إِذْ قالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ ما تَعْبُدُونَ * قالُوا نَعْبُدُ أَصْناماً فَنَظَلُّ لَها عاكِفِينَ * قالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ * قالُوا بَلْ وَجَدْنا آباءَنا كَذلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[1] **لاحظوا ههنا مناقشة وحوار.**

---

(1) الشعراء: ٦٩ - ٧٤.

في سورة الشعراء استعراض لهذا الحوار بينه وبين قومه، حيث لا يوجد دليل علمي لديهم، عندما قال لهم: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾**؟ لم يكن لديهم جواب سوى أنهم يتبعون آباءهم،** ﴿قالُوا وَجَدْنا آباءَنا لَها عابِدِينَ﴾.[1]

المعلم الثاني: التحدي و المواجهة الميدانية:

ذكرنا أن نوحاً على نبينا وعليه الصلاة والسلام هو أيضاً بدأ آلية الحوار مع الناس، لكن الفرق بين نوح وإبراهيم عليهما السلام نجدهُ في عدم دخول نوح عليه السلام في مواجهة. بينما إبراهيم عليه السلام دخل في تحدي ومواجهة.

كيف دخل إبراهيم عليه السلام في تحدي ومواجهة؟

قوم نوح عليه السلام يتحدث عنهم القرآن قائلاً: ﴿وَمَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً * وَقالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُواعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً﴾[2] **ومع ذلك لم يدخل نوح عليه السلام معهم في مواجهة ميدانية ومعركة، بينما إبراهيم عليه السلام قال:** ﴿وَتَاللهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذاذاً إِلَّا كَبِيراً لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ * قالُوا مَنْ فَعَلَ هذا بِآلِهَتِنا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾[3] **أنا سأدخل معكم معركة على الأرض ليس مجرد حوار فقط، بل سوف أدخل معكم في تحدي ومواجهة، وهذه نقلة في الحقيقة ما وجدناها في الأديان السابقة. هذه بدأها إبراهيم عليه السلام.**

قالوا: سمعنا ان هناك فتىً اصلاحياً نازلاً في الميدان يقال لهُ إبراهيم، ﴿قالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هذا بِآلِهَتِنا يا إِبْراهِيمُ * قالَ بَلْ

---

(1) الأنبياء: ٥٣.

(2) نوح: ٢٢ و٢٣.

(3) الأنبياء: ٥٧ - ٥٩.

﴿فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾، في قصة حدّثتكم بها في محاضرات سابقة انهُ كسَّر الأصنام إلاّ الصنم الكبير، وعلّق الفأس عليه، فلما سألوه: يا إبراهيم من كسَّر الأصنام أأنت؟ قال: لا، هذا كبيرهم الصنم الكبير ألا ترون الفأس على رأسِ اسألوهم، ﴿فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ * فَرَجَعُوا إِلى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾، هذا صنم لا يتكلم لا يتحرك، إبراهيم عليه السلام حجته قوية، فرجعوا إلى أنفسهم أي أصبحوا يتشاورون فيما بينهم، ثمّ طأطاوا رؤوسهم ﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلى رُؤُسِهِمْ﴾، أحدهم يقول للآخر: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ ما هؤُلاءِ يَنْطِقُونَ﴾.

هذا معلم جديد في منهج إبراهيم عليه السلام وسوف يمتد إلى موسى وإلى عيسى عليهما السلام في مراحل متطورة، حتّى نصل إلى نبينا صلى الله عليه وآله الذي أسس الدولة.

إبـراهيم عليه السلام دعـا إلـى تـشكيل المجتمـع المـدني المتحـضر دون أن يؤسـس دولـة، ودون أن يتـصدى للـسياسة، ودون أن يطلـب الملـك والحكـم. وهـذه قـضية متميـزة سـنجدها فرقـاً مـا بـين الإسـلام ومـا بـين الأديـان السابقة وهذا بحث عميق نكتفي بالإشارة إليه.

المعلم الثالث: الابتعاد عن المواجهة السياسية:

كـان المعلـم الثالـث فـي حركـة إبـراهيم الخليـل عليه السلام: هـو الابتعـاد عـن المواجهـة السياسية فعملية تكسير الأصنام هي مواجهة، لكن يمكن أن نسميها مواجهة عقائدية وليست مواجهة سياسية مع الدولة ومع الحاكم ومع المَلِك، لا توجد مواجهة سياسية لدى إبراهيم عليه السلام. لقد ذهب إلى الأصنام وكسَّرها، وهنا القـرآن الكـريم يـشير إلـى أن إبـراهيم عليه السلام فـي الوقـت الـذي لـم يـدخل فـي المواجهـة الـسياسية، لكـن الملـك والدولـة جرّتـهُ إلـى مواجهـة سياسـية، أي بـدأ السلطان يتحرش بالنبي وليس النبي هو الذي يتحرش بالسلطان بخلاف الحال

عند موسى عليه السلام حين قال له الله تعالى ولأخيه هارون: ﴿اذْهَبا إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى﴾ **أي أن النبي موسى وهارون عليهما السلام كان مكلفاً بالتصدى للعملية السياسية** ﴿فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى﴾[1] **أمّا إبراهيم عليه السلام فرغم أن هناك مَلِكاً موجوداً اسمه نمرود في العراق لكن القرآن الكريم لا يشير أبداً إلى أن إبراهيم الخليل عليه السلام أمر بالذهاب إلى هذا السلطان ومحاججته، وإنما القرآن يقول:** ﴿أَلَمْ تَرَ إِلى الَّذِي حَاجَّ إبراهيم فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ **نمرود هو الذي ناقش إبراهيم عليه السلام وحاججه وليس إبراهيم عليه السلام من ناقشه** ﴿أَلَمْ تَرَ إِلى الَّذِي حَاجَّ إبراهيم فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إبراهيم رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إبراهيم فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾،[2] **الفكرة هي أن السلطة السياسية هي التي أرسلت على إبراهيم عليه السلام وبدأ يحاججه الملك، بخلاف ما سنجده في موسى عليه السلام وما بعده حتّى نصل إلى نبينا محمّد صلى الله عليه وآله الذي أسس وقاد دولة.**

إبراهيم الخليل عليه السلام كان يدعو إلى تشكيل مجتمع متمدن. وهذا المجتمع المتمدن الذي يدعو إليه إبراهيم عليه السلام يكون قائماً على قيم وأصول وليس على دكتاتوريات كما في حكومة نمرود.

المعلم الرابع: الهجرة:

الهجرة هي مشروع إبراهيمي، وهو الذي شرّعه وهي أحد الآليات التي استخدمها إبراهيم عليه السلام وكذلك المقاطعة والبراءة من الذين كفروا ﴿قَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلى رَبِّي سَيَهْدِينِ * رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي

(1) طه: ٤٣ و٤٤.
(2) البقرة: ٢٥٨.

بِالصَّالِحِينَ﴾[1] هاجر إبراهيم عليه السلام إلى فلسطين، حيث لم يؤمن به إلاّ زوجته ولوط عليه السلام (وهو ابن خالته)، وهؤلاء الثلاثة قرروا الهجرة ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾.[2]

قصة إبراهيم والمَلِك:

وكما تقول الروايات كانت زوجة إبراهيم عليه السلام سارة حسناء جميلة ولهذا صنع لها تابوتاً أي صندوقاً كبيراً وجعل زوجته سارة داخل الصندوق وفي الطريق قطعه بعض العشارين _ وهم جباة ضرائب للدولة _.

قال له: يا إبراهيم اعطني عُشر ما عندك.

فقال له إبراهيم عليه السلام: اعطيك كل ما تريد إلاّ الصندوق فلا تفتحه.

فأصرَّ على فتح الصندوق ثمّ فتحه بالقوة وإذا بامرأة حسناء جميلة.

قال: والله لأخبرنّ المَلِك، وأخذوا إبراهيم عليه السلام ومن معه إلى المَلِك.

فقال المَلِك لإبراهيم عليه السلام: افتح الصندوق فلم يقبل إبراهيم عليه السلام، ففُرض عليه ان يفتحه وإذا بزوجته الحسناء فأُعجب بها المَلِك فمدّ يده إليها ليلمسها، إبراهيم عليه السلام أعرض بوجهه حياءاً وسأل الله تعالى أن يصدّه عنها.

الروايات تقول: فوقفت يد الملك لا متقدمة ولا متأخرة.

الملك أصبح في حرج شديد.

قال: يا إبراهيم إلهك فعل هذا؟

قال عليه السلام: نعم.

قال الملك: ادعُ إلهك أن يعيد إليّ يدي.

---

(1) الصافات: ٩٩ و١٠٠.

(2) العنكبوت: ٢٦.

قال إبراهيم عليه السلام: على أن لا تعود إلى هذا الفعل.

قال: لا أعود، فدعا الله تعالى لأن يرد يده، فردها الله سبحانه وتعالى.

ومرة أخرى نظر الملك إلى سارة فمد يده إليها وأيضاً وقفت يده ولم يلمسها وإبراهيم عليه السلام أيضاً أعرض بوجهه، لكي لا يرى مشهد الاعتداء على زوجته، ودعا الله تبارك وتعالى أن يقيها شر هذا الملك، وبالفعل استجاب الله دعائه.

التفت الملك إلى إبراهيم عليه السلام وقال: يا إبراهيم هل ربك هو الذي فعل بي هذا؟

قال عليه السلام: نعم.

قال: سله أن يفرج عني.

قال عليه السلام: بشرط أن لا تعود وإذا عُدت فلن أدعو لك مرة ثالثة.

قال: لك عليّ أن لا أعود، فدعا إبراهيم عليه السلام ربه أن تعود الحالة الطبيعية للملك.

قال: إن ربك لغيور.

قال عليه السلام: نعم إن ربي لغيور، يكره الحرام.

أنظروا لبداية القيم الأخلاقية وتركيزها في المجتمع، هذه أسس وقيم وعلى السلطان أن يخضع لهذه القيم الأخلاقية، وإبراهيم عليه السلام يومئذٍ _ قبل أربعة آلاف عاماً _ يتحدّث بقيم أخلاقية (غيور، يكره الحرام) بحيث يُعرض بوجهه ولا يرى منظر الملك وهو يمد يده إلى زوجته، فأعجب به الملك وبشخصيته.

قال: إني أريد منك شيئاً.

قال عليه السلام: ما هو؟

قال: لأني رأيت شخصيتك العظيمة ورأيت شخصية زوجتك المحترمة أيضاً فأريد أن أُخدمها جارية قبطية عندي.

قال عليه السلام: افعل.

فوهب المَلِك جارية قبطية اسمها (هاجر) إلى سارة وقَبِلها إبراهيم عليه السلام، ثمّ ودَّعه راحلاً إلى فلسطين، ومكث في فلسطين، والقصة هنا تقول انه لم يكن يولد له ولد من سارة.

سارة قالت لإبراهيم عليه السلام: أنا سأبيعك أو أهب لك هذه الجارية فتصير جاريتك وحينها تستطيع أن تقترب منها وهكذا كان فولدت له إسماعيل.[1]

نستنتج من هذا إن إبراهيم عليه السلام لم يدخل في مواجهة سياسية مع السلطان، ارتحل من العراق والتقى بالسلطان لكن لم يدخل معه في مواجهة قال: ﴿إِنِّي ذاهِبٌ إِلى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾.

المعلم الخامس: تأسيس قواعد المجتمع المتمدّن:

إبراهيم عليه السلام كان غاية في السطوع، أي أن نجم الأنبياء هو إبراهيم عليه السلام ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبراهيم هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾،[2] سطوع على مستوى التشريع وعلى مستوى القيم الأخلاقية، هنا المفسرون يذكرون أن:

الصلاة: هي تشريع إبراهيمي، الحج: تشريع إبراهيمي، بناء الكعبة: هو تشريع إبراهيمي ومؤسسة إبراهيمية، الزكاة: مشروع إبراهيمي. وهي تعني مجتمعاً متمدناً ومتحضراً يؤخذ من الغني للفقير على شكل ضرائب

(1) أنظر: الكافي ٨: ٣٧٠/ ح ٥٦٠.

(2) الحج: ٧٨.

قانونيــة ولــيس علــى شــكل لــصوصية وســرقات، هــذه معــالم المجتمــع المتمدن وإبراهيم عليه السلام كان يرسمها حيث لم تكن من قبله موجودة.

وأوّل من شرع السلام هو إبراهيم عليه السلام فأصل (سلام عليكم) هو إبراهيم، أمس ذكرنا بأن أوّل من شرع (بسم الله) هو نوح عليه السلام قال: ﴿ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا﴾[1] **ولكن أوّل من شرع السلام هو إبراهيم عليه السلام في قصته مع أبيه آزر قال:** ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾[2] **حيث هدده أبوه بالهجر والطرد، وكانت هذه بداية تشريع السلام ومنه الإسلام ومنه عملية السلام العالمي.**

الإســلام هــو داعيــة الــسلام العــالمي، والأنبيــاء هــم دعــاة الــسلام العالمي وهذا حديث واسع.

أيــضاً يــستمر إبــراهيم عليه السلام فــي تأســيس قواعــد المجتمــع المتمــدن والمتحـضر، ومـن جملـة تلـك القواعـد هـي: النقـاء المـادي إضـافة إلـى النقـاء المعنـوي، الـصلاة نقـاء معنـوي قلبـي، لكـن إبـراهيم عليه السلام ذكـر شـيئاً آخـر وهـو ان المجتمـع يجـب أن يقـوم علـى أسـس مـن الطهـارة والنقـاء والنظافـة، فهنـاك مجتمعـات متخلفـة وبعيـدة عـن النقـاء والنظافـة، الإسـلام هـو قمـة فـي ثقافـة النظافـة، الروايـات تقـول إن إبـراهيم عليه السلام جـاء بالحنيفيـة وهـي تعنـي الطهـارة، وهـي عبـارة عـن عـشر سُـنَن: خمـس فـي الـرأس، وخمـس فـي البدن. إبراهيم عليه السلام وقبل أربعة آلاف سنة رسَمَ لنا الحنيفية الكبرى.

الروايــة عــن الإمــام الــصادق عليه السلام: «الطهــارات العــشر الحنيفيــة البيـضاء، خمـس منهـا فـي الـرأس، وخمـس منهـا فـي البـدن، أمـا التـي فـي

(1) هود: ٤١.

(2) مريم: ٤٧.

الرأس فأخذ الشارب، وإعفاء اللحى، وطم الشعر _ دفنه _ والسواك والخلال، أما التي في البدن فحلق الشعر من البدن، والختان، وتقليم الأظفار، والغسل من الجنابة والطهور بالماء».(1)

هنا إبراهيم عليه السلام بدأ يؤسس لمجتمع مدني متحضر قبل أربعة آلاف عام وينظر إلى مدى بعيد ويقول: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾(٢) أي ينظر إلى مدى الدهر، وهو يريد للحياة الأخلاقية والسنن أن تستمر، والله تبارك وتعالى استجاب له فنحن ملة إبراهيم عليه السلام وأمّته.

المعلم السادس: التسليم:

وأخيراً في المنهج الذي استخدمه إبراهيم عليه السلام هو الطاعة المطلقة لله، والتسليم له وعدم فرض الرأي على الوحي.

الله تبارك وتعالى أمر إبراهيم عليه السلام بأن يأخذ زوجته هاجر ويتركها في مكّة المكرمة، حيث الواد غير ذي الزرع، فنفذ إبراهيم عليه السلام أمر الله سبحانه وأخذ زوجته هاجر وولده إسماعيل عليه السلام وهو طفل صغير يرضع وهناك لا يوجد طعام ولا ماء، ومع ذلك استجابةً لله تبارك وتعالى فقد استسلم إبراهيم عليه السلام وترك زوجته ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾(٣) هنا تعلقت هاجر بإبراهيم عليه السلام وقالت: إلى من تتركني، هل هذا بأمر الله؟

قال عليه السلام: نعم هذا بأمر الله.

قالت: إذن الله تعالى سيتكفل بنا.

---

(1) ميزان الحكمة ٤: ٣٠٦٠.

(2) الشعراء: ٨٤.

(3) إبراهيم: ٣٧.

وهـذا يـدل علـى أنهـا امـرأة عظيمـة، حيـث لمّـا أخبرهـا إبـراهيم عليه السلام أن هذا بأمر الله استسلمت.

التسليم هـو مَعلـم مـن مَعـالم المـنهج الإبراهيمـي فـي الحركـة الاصـلاحية، ولهـذا فـإن إسـماعيل عليه السلام سـار علـى نفـس الخـط وكـذلك إسحاق ويعقـوب عليهما السلام، كـل الأديـان ترجـع إلـى إبـراهيم عليه السلام لمـا لديـه مـن روح التسليم لله تبارك وتعالى.

وتسليم آخر أيضاً هو قصة ذبح إسماعيل عليه السلام، لاحظوا روعة الارتباط بالسماء، قال: ﴿يا بُنَيَّ إِنِّي أَرى فِي الْمَنامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ ما ذا تَرى قالَ يا أَبَتِ افْعَلْ ما تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَما وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنادَيْناهُ أَنْ يا إِبراهيم * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هذا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[1] **هنا نعرف مدى التسليم لله تبارك وتعالى من قبل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وهو ابن أحد عشر عاماً.**

مقارنة بين الحسين وإبراهيم عليهما السلام:

حدّثتكم في المحاضرة السابقة أن الحسين عليه السلام كان يشهد أمّةً تعيش مرضين: المرض الأوّل هو فقد القدرة على التمييز بين الحق والباطل، والمرض الثاني الذي عاشته الأمّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله هو مرض فقد الإرادة على التغيير.

ولهذا الحسين عليه السلام كانت حركته باتجاه تزريق الإرادة في الأمّة.

«ألا ترون إلى الحق لا يُعمل به وإلى الباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله، ألا واني لا أرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ برماً».[2]

---

(1) الصافات: ١٠٢ - ١٠٧.

(2) مقتل الحسين لأبي مخنف: ٨٦؛ بحار الأنوار ٤٤: ١٩٣.

سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله فلم يغير ما عليه كان حقاً على الله أن يدخله مدخله».(١)

«ألا ومن كان باذلاً فينا مهجته موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فاني راحل مصبحاً إن شاء الله».

هذا هو مشروع الهجرة.

ومشروع الدعوة للقيم الأخلاقية في يوم عاشوراء حين قال عليه السلام: «أنا الذي أقاتلكم وتقاتلونني والنساء ليس عليهن ذمام».

هذه قيم أخلاقية، فصحيح إن بيننا معركة، لكن نحن لدينا أصول في المعركة والأصل هو القيم الأخلاقية «أنا الذي أقاتلكم وتقاتلونني والنساء ليس عليهنّ ذمام فاتركوا حرمي واقصدوني إن كنتم عُرباً كما تزعمون».(٢)

كان هذا هو اتجاه حركة الحسين عليه السلام.

معركة الحسين عليه السلام غير مسلَّحة:

وهنا قضية مهمة نشير إليها وهي: أن الحسين عليه السلام لم يقم بحركة مسلحة على خلاف ما هو المتصوّر عند الناس. فالحسين عليه السلام لم يقم بحركة عسكرية ولا ثورة مسلحة، بل كانت تغييراً سلمياً، لكن القتال فُرض عليه وقاتل قتالاً دفاعياً، فلو كان الإمام عليه السلام يريد قتالاً عسكرياً لكان حشَّد لذلك الحشود.

الرواية تقول: حينما كان يوم التاسع من المحرم الحرام وأمر ابن سعد الخيل فزحفوا نحو الحسين عليه السلام ورمته الرماة وشكّت أزر النساء، هنا شمر بن

(1) مثير الأحزان: ٢٩.

(2) لواعج الأشجان: ١٨٥.

ذي الجوشن جاء إلى الحسين عليه السلام ليخاطبه، فأراد بُرير أن يرميه بسهم، لكن الحسين عليه السلام قال: «لا ترمه إني أكره أن أبدأهم بقتال».

الحر الرياحي حينما اصطدم مع الحسين عليه السلام في الطريق، زهير بن القين قال: يا بن رسول الله ألا نقاتل هؤلاء _ حيث كانوا ألف مقاتل _ فهم أهون علينا ممن يأتي بعدهم.

قال الإمام عليه السلام: «أنا لا أحب أن أبدأ بقتال» وهو على ذلك المنهج إلى آخر وقت قبل بدء المعركة حيث حاول الدخول في مفاوضات في اليوم السابع من المحرم الحرام مع ابن سعد.

هذه هي الحركة الحسينية والتغيير الاصلاحي الذي قاده الحسين عليه السلام.

لقد كان واحداً من معالم الحركة الحسينية هو الهجرة، والحوار، وأخيراً التسليم لله تعالى وهو الذي كان عند إبراهيم عليه السلام.

أنا بهذا الصدد ذكرت بيتين لأستاذنا آية الله الشهيد الفقيد الشيخ محمّد تقي الجواهري حيث يقول مقارناً بين الحسين وإسماعيل عليهما السلام:

فإن يكُ إسماعيلُ أسلمَ نفسَهُ   إلى الذبح في حجر الذي هو راحمه
فإن حسيناً أسلمَ النفسَ طائعاً   إلى الذبح في سيف الذي هو ظالمه

إنا لله وانا إليه راجعون.

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾.

* * *

(٣ / محرم الحرام / ١٤٢٧ هـ)

المحاضرة الثالثة:

أهداف الحركة الاصلاحيّة

لدى إبراهيم عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ إبراهيم كانَ أُمَّةً قانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شاكِراً لِأَنْعُمِهِ اجْتَباهُ وَهَداهُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَآتَيْناهُ فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * ثُمَّ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبراهيم حَنِيفاً وَما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.(١)

قال إمامنا الحسين عليه السلام:

«على الإسلام السلام إذ قد بليت الأمّة براع مثل يزيد ولقد سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: الخلافة محرمة على آل أبي سفيان فإذا رأيتم معاوية بن أبي سفيان على منبري فابقروا بطنه وقد رآه أهل المدينة على منبر رسول الله فلم يبقروا بطنه فابتلاهم الله بيزيد الفاسق».(٢)

إصلاح الدنيا والآخرة:

الحديث ما زال متصلاً عن الحركة الاصلاحية، والتجربة التغييرية لإبراهيم ثاني الأنبياء أولي العزم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام.

هنا يثار سؤال مهم، وهو من الأبحاث الساخنة المهمة في عصرنا هذا. وهو: هل أن بعثة الأنبياء عليهم السلام هي من أجل إصلاح الدنيا أو من أجل إصلاح الآخرة؟ وهذا الأمر يرتبط بالحركة الاصلاحية للأنبياء عليهم السلام ومنهم إبراهيم عليه السلام.

---

(1) النحل: ١٢٠ - ١٢٣.

(2) أنظر: حياة الإمام الحسين عليه السلام ٢: ٢٥٧.

ما هو هدف حركة الأنبياء عليهم السلام أساساً؟ هل بعثهم الله تعالى لاصلاح الدنيا؟ أم بعثهم الله لاصلاح آخرة البشر؟ هذا بحث معاصر وساخن ومهم بين الإسلام وبين الليبرالية الحديثة.

الليبرالية الحديثة تقول إن الأديان _ وبقطع النظر عن صحتها أو عدم صحتها _ هدفها بناء ما بعد الموت، شغل الأديان ليس الدنيا، وإنما الآخرة أي أن الأنبياء عليهم السلام يخططون لما بعد الدنيا، لكن السلاطين والملوك همُّهم التخطيط للدنيا، فالدنيا شغل الملوك والسياسيين والسلاطين، والآخرة فهي شغل الأنبياء عليهم السلام ولكن هذا التصوّر غير صحيح، ونظرية الأديان بشكل عام هي أن مهمة الأنبياء عليهم السلام إصلاح الدنيا والآخرة معاً، وبدون إصلاح الدنيا لا يمكن أن يتقدم البشر بشكل جمعي نحو الآخرة، وبدون إصلاح المجتمع سياسياً فإن المجتمع سيسوقه الظالمون والكافرون والجبابرة إلى جهنم، ولهذا فإن القرآن يتحدث عن فرعون فيقول: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾[1] **ومن هنا فإن النظرية الدينية تقول إن مهمة الأنبياء ليست مفصولة عن ساحة الدنيا. فهم يعملون للدنيا والآخرة معاً، يقول القرآن الكريم بصريح العبارة:**

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[2] **ومعنى** ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ **ليس لينجو يوم القيامة ويدخلون الجنّة فقط، وإنما ليبنوا حياة عادلة في الدنيا، ومن ثمّ تترتب الحياة السعيدة في الآخرة.**

إذن في ضوء هذه الآية فإن الأديان والأنبياء عليهم السلام مبعوثون للدنيا والآخرة معاً.

---

(1) طه: ٧٩.

(2) الحديد: ٢٥.

قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾(١)

فالأنبياء عليهم السلام بُعثوا لمعالجة المشكلات الاجتماعية.

﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾.(٢)

القرآن يخاطب المؤمنين ويقول: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾(٣) **لا تقولوا إن جُلّ همكم هو الآخرة وتتركون الدنيا لأهل الدنيا والجبابرة، بل ادخلوا معهم في معركة في سبيل الله وفي سبيل المستضعفين أي ابنوا مجتمعاً سعيداً.**

وهكذا القرآن الكريم يتحدث عن قيم أخلاقية للدنيا وليس فقط للآخرة يقول: ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ﴾(٤) **القرآن يتحدّث عن خلاصة دعوة الأنبياء عليهم السلام، حينما يقول:** ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾(٥) **أي أن المجتمع إذا قام على أساس الاستعباد والاضطهاد، حينئذٍ لا الدنيا تصلح ولا الآخرة وسوف تكون نتيجتهم مثل نتيجة قوم نوح وقوم لوط عليهما السلام، أو نتيجة الأمّة الإسلاميّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله كما جاء في بداية الحديث في كلمة الإمام الحسين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «الخلافة محرمة على آل أبي سفيان» فالخلافة قضية سياسية لكن الدين يتدخل في هذا الأمر، ثمّ**

(1) الرحمن: ٧ و٨.
(2) الرحمن: ٩.
(3) النساء: ٧٥.
(4) الحجرات: ١٢.
(5) آل عمران: ٦٤.

يقول رسول الله: «فإذا رأيتم معاوية بن أبي سفيان على منبري فابقروا بطنه»[1] ثمّ يقول الإمام الحسين عليه السلام: «وقد رآه أهل المدينة على منبر رسول الله فلم يبقروا بطنه فابتلاهم بيزيد الفاسق»[٢] فالإمام الحسين عليه السلام هنا يتحدث عن قانون إلهي وهو: إن الأمّة حينما تقبل بالانحراف وتستسلم له، فسوف يُسلَّط عليها الظالمون. لقد كانت نتيجة القبول بالانحراف في الأمم السابقة هو الانتقام السماوي والابادة العامة، كما في قوم نوح وقوم لوط عليهما السلام، لكن في أمّة رسول الله صلى الله عليه وآله فإن نتيجة الانحراف السياسي ليس هو الابادة الجماعية، وإنما هو المزيد من الابتلاء والمحنة وتسلط الظالمين وكما يقول الحديث الشريف: «لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولّى عليكم شراركم ثمّ تدعون فلا يُستجاب لكم».[٣]

الاصلاح الأخروي مرتبط بالاصلاح السياسي، ومن هنا كانت خلاصة دعوة الأنبياء عليهم السلام هو: ﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.[٤]

وفق الرؤية الإسلاميّة إن الدين غير مفصول عن السياسة، وإن الأنبياء عليهم السلام مهمتهم هي إصلاح الدنيا والآخرة معاً كما سنقرأ ذلك.

---

(1) شرح نهج البلاغة ٤: ١٠٨؛ بحار الأنوار ٣٣: ٢١٧ وفيه: «سيظهر على الناس رجل من أمّتي عظيم السرة واسع البلعوم يأكل ولا يشبع يحمل وزر الثقلين، يطلب الامارة يوماً فإذا أدركتموه فابقروا بطنه» وفي ٣٣: ١٨٦: «إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاقتلوه».

(2) مقتل الخوارزمي ١: ١٨٤.

(3) نهج البلاغة ٣: ٧٧/ خ ٤٧.

(4) الأعراف: ٥٦.

الأنبياء عليهم السلام أحياناً يدخلون في مواجهة مع الملوك والجبابرة وأحياناً لا يدخلون في مواجهة معهم، لكن الفهم القرآني يقول إنه دائماً هناك تقاطع بين حركة الأنبياء عليهم السلام وحركة الظالمين، ومهما كان موقف النبي.

حتّى إذا لم يدخل في مواجهة مباشرة مع الملك الظالم، فإن الظلمة والملوك والجبابرة سوف يتعرضون للأنبياء عليهم السلام كما قال فرعون: اني أخاف أن يفسد دينكم.

مثلاً أئمّتنا عليهم السلام وفي عصور متعددة لم يتدخلوا في الشأن السياسي، لعدم توفر الشروط الموضوعية لكن رأينا أن السلاطين كانوا يتعرضون للأئمّة عليهم السلام واحداً بعد واحد.

هجرة إبراهيم عليه السلام:

الأنبياء عليهم السلام كذلك كما في قصة إبراهيم عليه السلام عندما هاجر من العراق إلى فلسطين، فقد لاحقه نمرود مع إن إبراهيم عليه السلام كان يتناول قضية عقائدية بعيداً عن شأن الملك الجبّار، حيث قال وهو يخاطب قومه وليس المَلِك: ﴿تَاللهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ لكن هنا تدخل نمرود في الأمر.

خمس كلمات:

الرواية تقول: إن إبراهيم عليه السلام لما أُلقي في النار، جاءه جبرئيل وأعطاه خاتماً مكتوباً فيه خمس كلمات: الكلمة الأولى: لا إله إلاّ الله، الكلمة الثانية: محمّد رسول الله، الكلمة الثالثة: ألجأت ظهري إلى الله، الكلمة الرابعة: أسندت أمري إلى الله، الكلمة الخامسة: فوضت أمري إلى الله،[1] هذا اللجوء المطلق

---

(1) أنظر: تفسير القمي ٢: ٧٣.

حينما يعيشه الإنسان حينئذٍ تصير النار شيئاً آخر: ﴿بَرْداً وَسَلاماً عَلى إِبراهِيمَ﴾، وحينئذٍ يكون بطن الحوت ليونس صندوق أمان، ذلك بمقدار الانقطاع واللجوء إلى الله تبارك وتعالى.

وانتقل إبراهيم عليه السلام من العراق في طريقه إلى فلسطين، وألقي القبض عليه وبُعث إلى ملك الاقباط وهم الأكثرية في مصر _ وهو كافر _ وبعد قصة محاولة الملك أخذ سارة زوجة إبراهيم عليه السلام ثمّ منعه الله تبارك وتعالى من ذلك ثمّ أطلق سراح إبراهيم عليه السلام وكرمه ووهبه هاجر، أصبح الملك خاضعاً لإبراهيم عليه السلام.

الرواية تقول: فتقدم إبراهيم عليه السلام والملك يمشي خلفه هيبةً وتكريماً لإبراهيم عليه السلام بعد أن رأى منه ما رأى، وأصبح هذا الملك وهو «عزارى» يمشي خلف إبراهيم عليه السلام فأوحى الله تبارك وتعالى إلى إبراهيم عليه السلام أن لا تتقدم على الملك، ليتقدم الملك وأنت تمشي خلفه هيبةً واعظاماً وانه لا بدّ للناس من أمير براً أو فاجراً، فتوقف إبراهيم عليه السلام وحدّث الملك وقال له: بأن ربي أوحى إليّ أن أمشي خلفك، وربما يكون في هذا الموقف تحليل سياسي وهو إن الملك إذا مشى خلف إبراهيم فإن الملك يحاول أن يأخذ شرعية من إبراهيم عليه السلام ويقول: أنا من جماعة إبراهيم عليه السلام، وحينما يمشي إبراهيم عليه السلام خلف الملك فيعلم الناس بأنه مقهور ومظلوم وأنه لا بدّ من أمير برّاً كان أو فاجراً.

ومهما يكن فقد قال الملك لإبراهيم عليه السلام: الله قال لك أن تمشي خلفي؟

قال عليه السلام: نعم تعظيماً وهيبةً لك.

قال: إن ربك لحليمٌ رؤوف، وإنك ترغّبني في دينك ثمّ أسلم على يديه.[(١)]

---

(1) الكافي ٨: ٣٧٣/ ح ٥٦٠.

هذه في الحقيقة هي من حكمة الأنبياء عليهم السلام، وطرقهم في هداية الجبابرة.

الفكـرة هــي أن الأنبيـاء عليهم السلام دائمـاً يهـدفون إلـى إصـلاح الـدنيا وإصـلاح وهدايـة الملـوك أيـضاً، لكـن أحيانـاً يتمكنـون وأحيانـاً أخـرى لا يتمكنون من ذلك.

الحركة الاصلاحية تنطلق من الصالحين:

أحد معالم الحركة الاصلاحية للأنبياء عليهم السلام وعلى رأسهم إبراهيم عليه السلام أنها يجب أن تنطلق من الصالحين.

اليـوم مـثلاً حينمـا نتحـدّث عـن الاصـلاح الـسياسي فـي العـالم، لا يمكـن أن يـتم علـى أيـدي الجبابرة والملوك، بـل لا بـدّ أن يـأتي عـن طريـق أولئـك الـذين أصـلحوا أنفـسهم وهـم الأنبيـاء وأتبـاع الأنبيـاء، ولهـذا نحـن نعتقـد أن الاصـلاح الـسياسي في العـالم سـيتم علـى أيـدينا أي علـى يـد قـادة الإسلام وأمّـة الإسـلام، ولـيس علـى يـد الأمـم الأخرى، ولهـذا القـرآن يقـول: ﴿سَـلامٌ عَلـى نُـوحٍ فِـي العـالَمِينَ﴾[1] **ثـمّ يقـول:** ﴿إِنَّـهُ مِـنْ عِبادِنَـا الْمُـؤْمِنِينَ﴾[2] **أي أن الاصـلاح يجـب أن يـصدر مـن إنـسان مـؤمن، ولهـذا القـرآن يقـول:** ﴿إِنَّ إبراهيم كانَ أُمَّةً قانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.[3]

في قصة أخرى قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلى إبـراهيم رَبُّـهُ بِكَلِمـاتٍ فَـأَتَمَّهُنَّ قـالَ إِنّـي جاعِلُـكَ لِلنّـاسِ إِماماً قـالَ وَمِـنْ ذُرِّيَّتـي قـالَ لا يَنـالُ عَهْـدِي الظّـالِمِينَ﴾[4] **أي أن**

---

(1) الصافات: ٧٩.

(2) الصافات: ٨١.

(3) النحل: ١٢٠.

(4) البقرة: ١٢٤.

المصلح لا يمكن أن يكون ظالماً، ولا بدّ من أن يكون عادلاً مقدساً ورعاً نقياً وزاهداً في الدنيا، أمّا مثل يزيد، ومروان بن الحكم، وهارون الرشيد وصدام، فلا يمكن أن يقودوا حركة إصلاحية. وهكذا كل جبابرة العالم، لأنهم لم يبدأوا من إصلاح أنفسهم.

إبراهيم عليه السلام كان خليل الرحمن، أي انه غارق في العلاقة مع الله، وهي أروع صفة بعد صفة (حبيب الله) لنبينا محمّد صلى الله عليه وآله.

معنى خليل الرحمن:

العرفاء والفلاسفة مثل ابن عربي يقفون عند وصف إبراهيم عليه السلام بالخليل ويقولون: إن معنى (خليل) هو دخول الشيء في جميع مسامات ومنافذ الشيء الآخر أي يتخلله، وإن معنى (إبراهيم خليل الرحمن) يمكن أن نتصوره بتصورين: إما أن الله تبارك وتعالى تخلَّل في كل وجود إبراهيم عليه السلام أي في عروقه ومساماته، أي أن الرحمن قد خالط لحمه ودمه وعروقه وعظامه. وإما أن إبراهيم عليه السلام تخلَّل في الذات الإلهية وفي كل موقع يوجد فيه اسم الله فيوجد فيه إبراهيم عليه السلام. وربما يشير لذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾،[1] أما روايات أهل البيت عليهم السلام فهي تقول:

إنما اتخذ الله إبراهيم عليه السلام خليلاً لثلاث صفات: «إفشاء السلام وإطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام» اثنان منها للدنيا وواحدة للآخرة، إذن حركة الأنبياء عليهم السلام تبدأ من الدنيا، وإفشاء السلام تعني أن إبراهيم عليه السلام كان يريد السلام في الأرض ولا يريد الظلم ووجود الطبقة

(1) الأنعام: ٧٥.

المظلومة والضعيفة، أمّا إطعام الطعام فإن إبراهيم عليه السلام كان كريماً ومضيافاً، أمّا الثالثة فالصلاة، أي أن المطلوب في حركة الأنبياء عليهم السلام الاصلاحية هو متابعات دنيوية ومتابعات أخروية.

ضيف إبراهيم عليه السلام:

ولهذا، وانطلاقاً من مسألة إطعام الطعام، وان هذه كانت خصوصية إبراهيم عليه السلام فقد كان في البادية، حيث يتحدّث القرآن الكريم ويقول: ﴿هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبراهِيم الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقالُوا سَلاماً قالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * فَراغَ إِلى أَهْلِهِ فَجاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قالَ أَلا تَأْكُلُونَ * فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ﴾[١] **إن هؤلاء الملائكة جاؤوا في حالة ضيوف لإبراهيم عليه السلام. وهذا خُلُق ومكرمة أخلاقية «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[٢] فالنبي يجب أن يكون أخلاقياً ومضيافاً في الدنيا، وهناك مسألة ثانية وهي إن هؤلاء الملائكة الأربعة أخبروا إبراهيم عليه السلام بأنهم جاؤوا إلى قوم لوط عليه السلام وأنهم يريدون أن ينزلوا بهم العذاب من السماء** ﴿لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنا إِلى قَوْمِ لُوطٍ﴾[٣] **وأصبح إبراهيم عليه السلام يتوسل بالله تعالى ويقول: إلهي لا تنزل عذابك على قوم لوط، والقرآن يقول:** ﴿يُجادِلُنا فِي قَوْمِ لُوطٍ * إِنَّ إِبراهِيم لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾[٤] **أي أنه رقيق القلب.**

---

(1) الذاريات: ٢٤ - ٢٨.

(2) مكارم الأخلاق: ٨؛ بحار الأنوار عن معاني الأخبار ٦٨: ٣٨٢.

(3) هود: ٧٠.

(4) هود: ٧٤ و٧٥.

الأمّة الإسلاميّة:

وهذا الموضوع في غاية الأهمية. فمن جانب أننا نحن أمّة رسول الله صلى الله عليه وآله نُسمى الأمّة المرحومة التي لا ينزل عليها عذاب سماوي فيبيدها. وبالفعل إلى الآن ومنذ ألف وأربعمائة سنة، فإن الأمّة الإسلاميّة لم تتعرض للإبادة مثلما أُبيد قوم نوح وقوم لوط عليهما السلام وأمم كثيرة.

لماذا أصبحت هذه الأمّة مرحومة؟

فلسفة هذا الشيء هو إن هذه الأمّة لا يجف عنها الجذر النقي والطيب ولن تموت، أمّا تلك الأمم فإن الله تعالى يقول أن لا فائدة تُرجى منهم ﴿وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فاجِراً كَفَّاراً﴾[1] وقد انتهى صلاحهم وأن أي قدرة على الحياة لا توجد عندهم، إذن تستحق الابادة، أما أمّة نبينا صلى الله عليه وآله فانها أمّة تحتفظ بقدرتها على التكيف السريع والصلاح من جديد يوماً بعد يوم، وهذه هي الحقيقة فأمّة الإسلام لم تمت لحد الآن وهي من يقارع الكفر والكبر العالمي وببطولة عجيبة.

في هذه الأيام الناس كلها مشغوفة بالحسين عليه السلام اليوم مررت في الشارع وأعجبني لافتة مكتوب فيها (هيئة عزاء مديرية شرطة مرور النجف) هذا في الحقيقة رحمة من الله تعالى أن شرطتنا ومرورنا وبلديتنا وكهرباءنا كلها تنادي (يا حسين).

ما الذي صنعه الحسين عليه السلام؟ وكيف أن الحسين عليه السلام يتفاعل مع قلوب وشرايين وأوردة الناس جيلاً بعد جيل؟ هذه هي الأمّة المرحومة، الصلاح لا ينقطع عنها وجذرها النقي لا يموت، فكلما تسقط ورقة تنبت

---

(1) نوح: ٢٧.

ورقة أخرى، ولهذا فإن إبراهيم عليه السلام كان يدعو الله تبارك وتعالى أن يرزقه هذه الأمّة، فأمّته قد انتهت، ولكن نحن أمّة إبراهيم عليه السلام وهو كان وحده ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾،(1) ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾،(2) ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ إلى أن يقول: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ * رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾.(3)

أهداف حركة الإمام الحسين عليه السلام:

الإمام الحسين عليه السلام أيضاً يهدف لاصلاح الدنيا قبل الآخرة في حركته.

لاحظوا ماذا قال الحسين عليه السلام في حواره مع مروان في المدينة حينما عرض عليه مروان بأن يبايع يزيد حيث قال الإمام عليه السلام: «على الإسلام السلام إذ ابتليت الأمّة براع مثل يزيد وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: الخلافة محرمة على آل أبي سفيان فإذا رأيتم معاوية بن أبي سفيان على منبري فابقروا بطنه، ولقد رآه أهل المدينة على منبر النبي ولم يبقروا بطنه، فابتلاهم الله بيزيد الفاسق» فحركة الإمام الحسين عليه السلام هي حركة إصلاحية على مستوى دنيا الناس وعلى مستوى دينهم وعلى مستوى آخرتهم جميعاً.

الإمام الحسين عليه السلام يريد أن يؤكد أن حركة الاصلاح لا يمكن أن يقودها مثل يزيد بن معاوية، لأن الاصلاح يقوده الصالحون فقط.

---

(1) النحل: ١٢٠.

(2) إبراهيم: ٣٥.

(3) إبراهيم: ٣٧ - ٤١.

ولهذا قال عليه السلام: «على الإسلام السلام إذا ابتليت الأمّة براع مثل يزيد».

في مثل هذا اليوم وهو اليوم الثاني من محرم الحرام وصل الحسين عليه السلام إلى كربلاء عام (٦١) للهجرة أي قبل (١٣٥٣) عاماً.

المؤرخون يقولون لما وصل الحسين عليه السلام إلى كربلاء توقف جواد الحسين عليه السلام ولم يتحرك، ورواية ثانية تقول: إن الحر الرياحي وقف أمام الحسين عليه السلام، وقال: هذه المنطقة على مقربة من النهر وأنا لا أسمح لك أن تتقدم، وعلى كلا الروايتين فالإمام الحسين عليه السلام وقف وأخذ قبضةً من التراب وشمّها ثمّ سأل: ما اسم هذه المدينة؟ قيل: اسمها نينوى، قال: ألها اسمٌ آخر؟ قيل: بلى، تسمى الغاضريات، قال: ألها اسمٌ آخر؟ قيل: بلى، تسمى كربلاء، قال: ها هنا محطّ ركابنا، ها هنا سفكُ دمائنا ومحلّ قبورنا، بهذا حدّثني جدي رسول الله صلى الله عليه وآله.[1]

أنستْ رزيَتُكم رزايانا التي	سَلَفت وهوَّنت الرزايا الآتية
تَبتلُّ منكم كربلا بدم ولا	تَبتلُّ منّي بالدموع الجارية

إنا لله وإنا إليه راجعون.

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾.

* * *

(1) مثير الأحزان: ٣٥؛ اللهوف في قتلى الطفوف: ٤٩.

(٤ / محرم الحرام / ١٤٢٧ هـ)

المحاضرة الرابعة:

مقارنة بين موسى والحسين عليهما السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ * قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾.(١)

قال إمامنا الحسين عليه السلام: «ألا ترون إلى الحق لا يُعمل به، وإلى الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله، فإني لا أرى الموتَ إلاّ سعادة، والحياة مع الظالمين إلاّ برماً».(٢)

الحسين وموسى عليهما السلام:

الحديث هذه الليلة عن ثالث أولي العزم والحركة الاصلاحية التغييرية التي قادها موسى بن عمران على نبينا وعليه الصلاة والسلام. وهي من أعظم الحركات النبوية التي سلط القرآن الكريم عليها أضواءاً كبيرة ما لم يسلطه على نبي من الأنبياء. فحينما تقرأ القرآن تجد أن قصة موسى وبطولات موسى ومواقفه ومعاركه تأخذ قسطاً كبيراً من القرآن الكريم. والتراث الروائي أيضاً مملوء أكثر ما يكون عن موسى عليه السلام وتجربته وقومه وما عاناه.

مما يظهر انه قاد حركة إصلاحية تغييرية متميزة. واليوم أسلط

---

(1) الأعراف: ١٢٨ و١٢٩.

(2) تحف العقول: ٢٤٥.

الضوء على بعض معالم هذه الحركة الاصلاحية التي قادها موسى عليه السلام حتّى نصل للإمام الحسين عليه السلام ونجد نقاط التشابه بين حركة الحسين عليه السلام الاصلاحية وبين حركة موسى عليه السلام.

ومن الملفت للنظر أن الحسين عليه السلام حينما خرج من مكّة المكرمة استشهد بقوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[(١)] **وهي آيات تتحدث عن هجرة موسى عليه السلام.**

وحينما هاجر من مكّة المكرمة أيضاً استشهد بقوله تعالى في قصة موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾.[(٢)]

لاحظوا الحسين عليه السلام في بدايات حركته يستشهد بحركة موسى عليه السلام، هجرة موسى عليه السلام وكيفية هجرته، وسنجد هناك نقاط شبه بين حركة موسى عليه السلام وحركة الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام، وكما هو معروف لدينا أن حديثنا يكون مُنصبّاً في هذه المحاضرات على بيان معالم الحركة الاصلاحية التي قادها الأنبياء عليهم السلام مقارنةً بحركة الحسين عليه السلام، ولو كنّا نريد التوسّع في بحث حركة الأنبياء عليهم السلام فإن تاريخ موسى عليه السلام يستحق عشرات الساعات من الدراسة والحديث والتحقيق كما أن القرآن الكريم أيضاً خصص شيئاً كثيراً لذلك.

نشأة موسى عليه السلام:

موسى عليه السلام عاش ونشأ في مصر التي كانت يومئذٍ يتقاسمها طبقة

---

(1) القصص: ٢١.

(2) القصص: ٢٢.

حاكمة مسلطة وطبقة محكومة مستضعفة، الطبقة الحاكمة هم الاقباط، وفرعون من هذه الطبقة، وأما الطبقة المسحوقة المستضعفة فهم الطبقة العبرانية أي العبرانيين وهم بنو إسرائيل. وبنو إسرائيل يعني بنو يعقوب، ويعقوب عليه السلام اسمه إسرائيل الله، وبنو إسرائيل هم الطبقة المستعبدة من قبل آل فرعون، موسى نشأ في هذا الوسط، وسط شريحة متدينة وهم بنو إسرائيل يومئذٍ وطبقة حاكمة متسلطة وهم الاقباط.

أهل اللغة يقولون إن أصل كلمة (موسى) من (مو) بمعنى الماء بالعبرية[1] و(سى) أو (سي) بمعنى الخشب، لأن موسى عثر عليه بين الماء والخشب، أو الأشجار حينما وضعته أمّه في صندوق وألقته في اليم، بينما كان فرعون وزوجته جالسين على النيل ووجدوا هذا الصندوق بين الأشجار والماء.

شخصية موسى عليه السلام:

القرآن الكريم يعطي لشخصية موسى عليه السلام صفات وتكريماً مهماً، يقول: ﴿إِنَّهُ كانَ مُخْلصاً وَكانَ رَسُولاً نَبِيًّا﴾.[2]

ويقول: ﴿وَقَرَّبْناهُ نَجِيًّا﴾.[3]

ويقول: ﴿وَكانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهاً﴾.[4]

ويقول: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسى تَكْلِيماً﴾[5] **ولهذا يوصف موسى عليه السلام بأنه كليم الله، وهذا امتياز لموسى عليه السلام، فإن كل الأنبياء عليهم السلام يوحي إليهم**

(1) لسان العرب ٦: ٢٢٤.
(2) مريم: ٥١.
(3) مريم: ٥٢.
(4) الأحزاب: ٦٩.
(5) النساء: ١٦٤.

الله تعالى لكن هنا مع موسى عليه السلام توجد نقطة امتياز، وهي أنّ الله سبحانه وتعالى كلّمه مباشرةً. لقد قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً﴾،[1] **ولكن الله تبارك وتعالى في حديثه مع موسى عليه السلام كان يكلّمه تكليماً أي إن موسى عليه السلام كان يسمع الصوت مباشرة بدون جبرئيل ولا هو وحي في القلب وإنما يسمع الصوت من وراء حجاب أو من وراء شجرة ومن النار** ﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ﴾[2] **فهو يجد أن الله يتكلم،** ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾.[3]

الحقيقة أن موسى عليه السلام يمثل بداية مرحلة جديدة في حركة النبوة، وهي انتقال من مرحلة إبراهيم إلى مرحلة موسى عليهما السلام وبعدئذٍ سنجد انتقالاً من مرحلة موسى إلى مرحلة عيسى عليهما السلام حتّى نصل بعدئذٍ إلى انتقال من مرحلة عيسى عليه السلام إلى مرحلة الدولة العالمية الكبرى التي دعا إليها نبينا صلى الله عليه وآله، وهي بداية تأسيس العالمية الإسلاميّة وهذا ما سنصل إليه حينما ندرس التطور الذي حدث في حركة نبينا صلى الله عليه وآله.

ما هو التطور الذي حدث في حركة موسى عليه السلام؟

نوح عليه السلام كان يعمل على بناء مجتمع صالح دون أن يكون هناك دولة ومَلِك، قلنا إن نوحاً عليه السلام هو أوّل من وضع أساس المجتمع المدني، لم يكن هناك مجتمعٌ سياسي فلا يوجد مَلِك ولا مؤسسات ولا مجتمع مدني، ولما وصلنا إلى إبراهيم عليه السلام وجدنا أن إبراهيم عليه السلام يعيش وجود مجتمع سياسي فهنالك ملك وهو نمرود وعزارى كما شرحناه سابقاً، لكن مع ذلك فإن إبراهيم عليه السلام

---

(1) الشورى: ٥١.

(2) النمل: ٩.

(3) النساء: ١٦٤.

كان يهدف لبناء القاعدة الجماهيرية ولا يهتم بالمَلِك، ولهذا فإن إبراهيم عليه السلام لم يدخل في معركة مع نمرود ولا مع عزارى وإنما هم الذين دخلوا في معركةٍ معه، أما موسى عليه السلام فقد شهد بدايات تأسيس المجتمع وعملية إسقاط الجبابرة، يعني بدأت حركة النبوة بالتطور التدريجي عبر تطور حركة المجتمع، وتاريخ موسى عليه السلام يلتهب بالحديث عن المعركة مع فرعون المتجبر، بينما لا نجد مثل هذا الواقع عند نوح وإبراهيم عليهما السلام. فلقد بُعث نوح عليه السلام إلى قومه، وكذلك بعث إبراهيم عليه السلام إلى قومه، أمّا موسى عليه السلام هذه المرة فإنه مبعوث إلى فرعون مباشرة لتتم عملية التغيير الديني من خلال التغيير السياسي.

أهداف موسى عليه السلام:

لقد كان موسى عليه السلام يهدف إلى أربعة أهداف:

الهدف الأوّل: نبذ الوثنية والدعوة للتوحيد.

الهدف الثاني: إسقاط الحكم القائم وتأسيس حكم ديني.

أي أن موسى عليه السلام شهد بدايات العمل على تأسيس المجتمع الديني والانتقال من مجتمع مدني علماني إلى مجتمع مدني ديني يقوم على أساس الشريعة الإلهية، وعلى أساس القيادة الإلهية. وهذا ما سنشرحه بايجاز كما أن القرآن الكريم يلفت النظر ويسلط الضوء على هذه القضايا.

لقد كان الهدف الثاني بعد أصل التوحيد ونبذ الشرك هو إقامة الحكم الديني وتكوين الدولة، موسى عليه السلام كان يريد تكوين دولة إسلاميّة سياسية وليس مجرد قاعدة جماهيرية، بل كان يهدف إلى إسقاط حكم فرعون أو تصحيحه من أجل تكوين دولة قائمة على أساس الدستور الإلهي.

الهدف الثالث: تكوين النخبة الصالحة.

وبما أنه في بداية الطريق فقد كان يعمل على تكوين النخبة الصالحة، وهو لم يستطع تكوين أمّة صالحة، بل استطاع تكوين نخبة صالحة. وعلى أساس ذلك فقد عمل موسى عليه السلام بمبدأ اعتماد المجتمع النخبوي، أي ان مجموعة صغيرة وحدهم أصبحوا يشكلون المجتمع الذي يريده موسى عليه السلام بمعنى إن الأقلية أصبحوا يشكلون وضعاً مستقلاً بعيداً عن الأكثرية، وهنا تأتي قصة بني إسرائيل وعبورهم من النيل إلى الجانب الآخر باتجاه فلسطين حيث شكلوا مجتمعاً نخبوياً، فقط بنو إسرائيل، هذا إذن مجتمع مصغّر.

الهدف الرابع: تكوين الدستور.

موسى عليه السلام وهو يهدف إلى تأسيس حكم ديني قدَّم لنا دستوراً ليس فقط في القضايا الأخلاقية وإنما دستوراً تعتمد عليه الدولة، هذه هي شريعة التوراة، ولهذا تجدون القرآن الكريم لا يتحدّث عن صحف نوح أو صحف إبراهيم عليهما السلام وربما كانت موجودة والله العالم، لكنها لم تكن تمثّل دستوراً متكاملاً كما هو في التوراة، بينما بقيت التوراة إلى اليوم.

التوراة هي أوّل دستور تقوم عليه الدولة وهذا ما سنشرحه جزئياً ببعض الروايات.

لاحظوا موضوع الدستور _ ان الفاصلة بين إبراهيم وموسى عليهما السلام هي أربعمائة سنة إلى خمسمائة سنة تقريباً _ إبراهيم عليه السلام يمثل الأب السادس أو السابع لموسى عليه السلام _ القرآن الكريم يسلط الضوء على الدستور الذي جاء به موسى عليه السلام كدستور دولة ويقول: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[1] معنى هذا أن التوراة فيها

(1) الأعراف: ١٤٥.

دستور شامل وهذا لم يأت في رسالات نوح وإبراهيم عليهما السلام، وإنما جاء في رسالة موسى عليه السلام، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْراةَ فِيها هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتابِ اللَّهِ﴾.(1)

القرآن الكريم يستمر في حديثه عن التوراة قائلاً: ﴿وَكَتَبْنا عَلَيْهِمْ فِيها أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالجُرُوحَ قِصاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الظالِمُونَ﴾(2) **لاحظوا هذا تشريع قانون العقوبات، مما يعني العمل على تكوين دولة وقانون العقوبات الجنائية وهذا تطور في حركة الأنبياء حيث أنه لم يعد كافياً أن يقول الشخص (أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أن نوحاً نبي الله، وأشهد أن إبراهيم نبي الله) بل لا بدّ من تسليم للتشريع الإلهي، والذي لا يسلم بالتشريع الإلهي هو بمثابة الكافر** ﴿فَأُولئِكَ هُمُ الظالِمُونَ﴾(3) **وفي آية أخرى** ﴿هُمُ الكافِرُونَ﴾(4) **ولعل الآيات التالية تشير بشكل واضح إلى هذا التطور في حركة موسى عليه السلام حين تقول:**

﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسى وَفِرْعَوْنَ بِالحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا

---

(1) المائدة: ٤٤.

وهذه الآية هي من الآيات التي كان يستشهد بها أستاذنا آية الله العظمى الشهيد السعيد محمّد باقر الصدر رضوان الله عليه واعتبرها إحدى الآيات الدالة على موقعية الفقيه والمرجع الديني كشاهد على الأمّة في كتابه (خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء) وكان يقول رضوان الله عليه: أن (الربانيون) في الآية الكريمة هم الفقهاء ﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتابِ اللَّهِ وَكانُوا عَلَيْهِ شُهَداءَ﴾.

(2) المائدة: ٤٥.

(3) البقرة: ٢٢٩.

(4) المائدة: ٤٥.

فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[١] **ثمّ يقول تعالى:** ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾[٢] **هنا القرآن حينما يتحدّث عن موسى عليه السلام يتحدّث عن مفهوم جديد اسمه مفهوم وراثة الأرض، يقول:** ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ **وهذه هي ثقافة تأسيس الدولة يعني يا أتباعي وأتباع الأديان والانبياء أنا أريدكم أن تكونوا ورثة الأرض وخلفاء في الأرض وتؤسسوا دولة** ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٣] **إلى أن يقول في بني إسرائيل:** ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾.[٤]

مواجهة السلطة:

هذه خطوة قام بها موسى عليه السلام والقرآن بشكل واضح جداً وفي عشرات الآيات يتحدّث عن معركة كبرى بين موسى عليه السلام وفرعون، مثلاً إن فرعون يقول لموسى عليه السلام لما جاءه: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى﴾[٥] **في إشارة واضحة إلى أن موسى عليه السلام كان يهدد السلطان، وما كان يتحدّث فقط عن قضية عقائدية وإنما كان يهدد السلطان.**

(1) القصص: ٤.
(2) القصص: ٥ و٦.
(3) الأعراف: ١٢٨.
(4) السجدة: ٢٤.
(5) طه: ٥٧.

في آية أخرى: ﴿قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾(١) **أي إن موسى عليه السلام وهارون يخططان لثورة سياسية.**

في آية أخرى: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾(٢) **إذن هنا عملية تغيير السلطة، هذا هو مشروع موسى عليه السلام ولم يكن هذا مشروع إبراهيم ولا نوح عليهما السلام، هذا ما نفهمه من القرآن حينما يقول:** ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ * إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ﴾(٣) **أي إن الله سبحانه وتعالى أرسل موسى عليه السلام إلى السلطة وليس إلى الناس فقط، وهو مكلّف بأن يتحدى السلطة ويدخل في معركة مع فرعون وهامان** ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي﴾.(٤)

عقدة لسان موسى عليه السلام:

ما هي العقدة التي كانت في لسان موسى عليه السلام وكيف كان هارون أفصح من موسى عليه السلام كما تقول الآية: ﴿هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً﴾(٥)**؟**

هناك عدة تفاسير لهذا الموضوع.

التفسير الأوّل: إن موسى عليه السلام في صباه أخذ جمرة ووضعها على لسانه

---

(1) طه: ٦٣.

(2) الشعراء: ٣٤ و٣٥.

(3) غافر: ٢٣ و٢٤.

(4) طه: ٢٤ - ٣٠.

(5) القصص: ٣٤.

واحترق لسانه وذلك لكي يخدع فرعون بأن موسى عليه السلام حينها طفل صغير لا يميز بين الجمرة والتمرة فأصبحت هناك لكنة في لسانه على أثرها.[1]

التفسير الثاني: إن موسى عليه السلام تأخر عليه الرضاع من لبن أمّه أيام صباه لما ألقته أمّه في اليم وأُخذ الصندوق وجيء به إلى قصر فرعون ثمّ جاؤوا بمرضعات ورفضهن موسى، وهذه تستغرق وقتاً طويلاً ﴿وَحَرَّمْنا عَلَيْهِ المَراضِعَ﴾[2] فكان يُعرض عن الرضاعة من المرضعات إلى أن جاءت أخته وقالت: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ﴾[3] أي هل أدلكم على مرضعة؟ وهي أمّه وهي عبرية أيضاً فدُعيت وتقبّلها موسى عليه السلام فوراً ﴿فَرَدَدْناهُ إلى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُها﴾[4] وأصحاب التجربة يقولون: إن الطفل إذا تأخر عليه الرضاع من أمّه فترة سوف يصير بلسانه لكنة، ويكون نطقه غير دقيق، وموسى ابتُلي بهذه القضية.

التفسير الثالث: يذكره الدكتور النجّار في كتابه قصص الأنبياء عليهم السلام وهو تفسير لطيف رغم انه ليس يقينياً، يقول إن موسى عليه السلام هاجر من مصر إلى مدين وهي على بعد ثمان ليالٍ عن مصر، وهم قوم شعيب. وتعلمون بقصة سفر موسى عليه السلام إلى مدين وقصة الجاريتين وعمل موسى عليه السلام لدى شعيب لمدة عشر سنوات وتزوج إحدى ابنتيه، بعض الروايات تقول: إنه رجع بعد انقضاء العشر سنوات وروايات أخرى تقول: إنه مكث عشر سنوات أخرى أي انه قضى عشرين سنة في أرض الهجرة وبعيداً عن لسان المصريين الاقباط، وحينئذٍ اختلط لسانه بلغات أخرى كما هو شأن من يهاجر عشرين سنة وهو في بداية شبابه

(1) تاريخ الطبري ١: ٢٧٤.
(2) القصص: ١٢.
(3) السابق.
(4) القصص: ١٣.

حيث تنقطع عليه سبل الاتصال وخاصة في ذلك الزمن حيث لا يوجد الراديو والفضائيات وقنوات إخبارية وصحافة وكتب، يقول هذا التفسير إن ذلك هو منشأ إن هارون كان أكثر فصاحة من موسى عليه السلام لأن هارون عاش عمره كله في مصر ولم يهاجر ولم يختلط لسانه، ولذا قال موسى عليه السلام: ﴿هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً * وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً﴾.[1]

مما يلاحظ أن موسى عليه السلام وهو يهدف إلى تأسيس المجتمع المدني الديني والدولة المدنيّة الدينية، أسسّ لظاهرة (الثقافة الدينية)، لقد كان موسى عليه السلام يعطي ثقافة دينية للناس، ومجمل رواياتنا يشير إلى ذلك.

لقد كان يكثر من الموعظة الدينية والارشاد، فرغم انه لا يوجد حينها تأليف وكتب لكن موسى عليه السلام أثر عنه قصص جمّة في تكوين ثقافة دينية.

تحجّر بني إسرائيل:

بنو إسرائيل الذين كانوا غايةً في التحجر قالوا له: يا موسى نحن نريد منك أن تدعو الله بأن ينزل المطر إذا أردنا ذلك، ويوقف المطر إذا أردنا ذلك، أي أن يفعل الله ما نريد نحن، كان هذا هو فهمهم لله تعالى ومستوى تعاملهم معه.

قال موسى عليه السلام: إلهي أنا ابتليت ببني إسرائيل، إلهي إذا دعوك بنزول المطر فأعطهم وإذا سألوك أن ينقطع المطر فاقطعه، فاستجاب الله له ذلك، وأصبحوا بفضل ذلك يملأوون المخازن بالحبوب نتيجة كثرة الزراعة حتّى انه لم يبق لهم قدرة على التصريف، إلى أن ضجوا ورأوا أن هذا الأمر أصبح يضرهم.

قالوا: يا نبي الله نحن اشتبهنا والله أعلم منا بموعد نزول المطر

(1) طه: ٣٠ - ٣٤.

وموعد انقطاعه حسب حالة متوازنة فاسأل الله أن يعود إلى مشيئته فيعطينا متى ما أراد ذلك، ويقطع عنا متى ما أراد ذلك فهو أعلم بذلك منا.

موسى عليه السلام سأل الله ذلك، الله تعالى قال له: ألم أقل لكم أنا أعلم بالحكمة منكم؟، أنا أعرف لماذا أقطع المطر ولماذا أعطي المطر.

الحديث عن تحجر بني إسرائيل وثقافتهم السطحية. وكان موسى عليه السلام يعلّمهم الثقافة الدينية العميقة مرةً على لسانه هو، لأجل تربية الآخرين ومرة بعرض قصص مع نفس بني إسرائيل.

قصة الصياد:

لقد حدّثتكم عن قصة في مجالسنا الأسبوعية في شرح الزيارة الجامعة الكبيرة. أن موسى عليه السلام كان واقفاً على النهر وإذا بصياد مشرك وبدون أن يقول بسم الله الرحمن الرحيم نزل وألقى شبكة الصيد في الماء فخرجت مملوءة بالسمك الجيد فسحبها وبدون أن يقول شكراً لله ألقى الثانية والثالثة وكلها تخرج مملوءة سمكاً، فأخذ السمك وذهب.

وجاء شخص فقير ومؤمن وقال: بسم الله الرحمن الرحيم وألقى الشبكة وسحبها وليس فيها شيء من السمك، وألقى الثانية وهو يدعو الله بالرزق ولم يكن فيها شيء أيضاً ثمّ ألقى الثالثة وإذا فيها سمكة صغيرة فأخذها وقال: الحمد لله والشكر لله.

موسى عليه السلام ينظر إلى المشهد وهو يريد أن يكوّن ثقافة دينية لدى قومه، فسأل الله تعالى وقال له: إلهي ان الصياد الأوّل كافر مشرك ملأ ثلاث شباك من السمك الجيد بلا حمد ولا شكر والثاني المسكين المؤمن في المرة الثالثة حصل على سمكة صغيرة، ما حكمة ذلك؟

فقال الله تعالى: يا موسى أنظر عن يمينك فنظر وشاهد ما أعده الله لهذا المؤمن من جناتٍ تجري من تحتها الأنهار ثمّ قال: أنظر عن يسارك فنظر وشاهد ما أعده الله لذلك الكافر من جهنم، ثمّ قال الله تعالى لموسى عليه السلام: أنا أعددت هذا للمؤمن، وأعددت ذاك للكافر، المؤمن لا يفرق لديه إذا أعطيته سمكة صغيرة أو شيئاً كثيراً فالدنيا ليس لها قيمة لدى المؤمن فالمقياس للرزق ليس هو الإيمان والكفر.(١)

كان هذا كله باتجاه تكوين ثقافة دينية، وهكذا كان موسى عليه السلام يهدف إلى تكوين مجتمع إسلامي ثمّ دولة إسلاميّة فهو مسؤول عن تكوين ثقافة دينية كبيرة.

وفي هذا الاتجاه تحرك موسى عليه السلام لتكوين مجتمع النخبة أي مجموعة خاصة هم أقلية، ثمّ يخرج بهم وراء النيل ويكوّن لهم دولة صغيرة، وهذا هو ما طلبه موسى عليه السلام من فرعون ﴿وَقالَ مُوسى يا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ * حَقِيقٌ عَلى أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرائِيلَ﴾(٢) **وقد يبدو أنه كان هدف موسى عليه السلام في تلك المرحلة أن يخرج هو وبنو إسرائيل ويكوّن لهم مجتمعاً ودولة دينية لهم وحدهم، بعيداً عن الأكثرية وهم الاقباط، تكوين مجتمع نخبة وليس مجتمع قائم على أساس الشمولية والتعددية للجميع،** ﴿وَأَوْحَيْنا إِلى مُوسى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءا لِقَوْمِكُما بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾(٣) **الخطاب فقط لهؤلاء الأقلية وهم بنو إسرائيل. وهذا حديث واسع في قصة تأسيس. الدولة والقرآن الكريم يشير إلى ذلك، مصر فيها فرعون.**

---

(1) مشكاة الأنوار: ٥٠٣.
(2) الأعراف: ١٠٤ و١٠٥.
(3) يونس: ٨٧.

وفرعون غرق في قصة معروفة، وبنو إسرائيل كانوا مع موسى عليه السلام في الجانب الآخر من النيل وهم ستة آلاف، وتوجد في الجانب الآخر فلسطين وغزة. وبنو إسرائيل أصبحوا في الصحراء المحاذية لفلسطين أي بيت المقدس، ومعنى المصر في قوله تعالى: ﴿أَنْ تَبَوَّءا لِقَوْمِكُما بِمِصْرَ بُيُوتاً﴾ هو المدينة وهي فلسطين.

موسى عليه السلام يقول لهم ادخلوا مصر قالوا: ﴿إِنَّ فِيها قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَها حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْها﴾، الله تبارك وتعالى ابتلاهم بتيه دام أربعين سنة في صحراء سيناء ومعهم نبيهم الأوّل والثاني أي موسى وهارون عليهما السلام وكان هذا الابتلاء نتيجة ثلاث مشاكل، ولمّا كانت الأمّة لا تستحق الهداية فإن النبي ضاع معهم أيضاً، يعني مثلما ان الحسين عليه السلام قُتل في كربلاء فالجرم ليس جُرم الحسين لكن الأمّة التي لا تستحق الحسين عليه السلام يُقتل فيها الحسين عليه السلام، هكذا الأمّة التي لا تستحق تكوين دولة دينية تبقى في الصحراء والنبي يضيع معهم أيضاً، واعلموا أن موسى وهارون عليهما السلام ماتا في التيه، أي أنهما لم يدخلا فلسطين وإنما بنو إسرائيل دخلوا فلسطين فيما بعد، أي أن موسى عليه السلام لم يشهد الدولة ولذا قلنا إن موسى عليه السلام شهد بدايات تأسيس دولة دينية، وابتُلي موسى عليه السلام ببني إسرائيل.

مشاكل بني إسرائيل:

بنو إسرائيل كانت لديهم مجموعة مشكلات:

المشكلة الأولى: التردد السياسي.

المشكلة الثانية: الشك العقائدي.

المشكلة الثالثة: حب الدنيا.

وسوف نجد أن هذه المشاكل ابتُليت بها الأمّة الإسلاميّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، كما سنجد أن حركة الحسين عليه السلام كانت بصدد مواجهة هذه المشكلات الثلاث.

التردد السياسي عند بني إسرائيل عندما قال لهم موسى عليه السلام: ادخلوا مصر قالوا: ﴿إِنَّا لَنْ نَدْخُلَها أَبَداً ما دامُوا فِيها﴾، ثمّ قالوا لنبيهم: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقاتِلا إِنَّا هاهُنا قاعِدُونَ﴾(1) وهذا صار شعاراً لبني إسرائيل.

زهير بن القين في كربلاء كانت هذه كلمته وهو يخاطب الحسين عليه السلام: لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لنبيهم: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقاتِلا إِنَّا هاهُنا قاعِدُونَ﴾ بل نقول لك: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، هؤلاء النخبة الحسينية وهم سبعون شخصاً مع الحسين عليه السلام الذين أنقذهم الله من مرض بني إسرائيل وهو التردد السياسي.

أمّا مرض الشك العقائدي فهو يعني أن أمّة رأت المعجزات الكبرى على يد موسى عليه السلام، ومع ذلك كله، وفي قصة خلاف عشائري وقتيل وجد مقتولاً على الأرض، وحين ارتفعت الشكوى إلى موسى عليه السلام قال لهم: إذا كنتم تريدون معرفة قاتله فاذبحوا بقرة وسوف تعرفون القاتل وذلك في قصة معروفة، ها هو موسى عليه السلام يقول لهم: اذبحوا بقرة فيقولون: ما هي؟ ﴿وَإِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ فأوّل شيء قالوه له هو: هل تهزأ بنا يا موسى عليه السلام؟ ﴿قالُوا أَتَتَّخِذُنا هُزُواً﴾ وهذا شك بالنبي وصدقه رغم أنهم مؤمنون به ﴿قالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ﴾ ولكنهم واصلوا لجاجتهم.

(1) المائدة: ٢٤.

﴿قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنا ما هِيَ﴾؟

﴿قالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ لا فارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوانٌ بَيْنَ ذلِكَ فَافْعَلُوا ما تُؤْمَرُونَ﴾.

﴿قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنا ما لَوْنُها﴾؟

﴿قالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ صَفْراءُ فاقِعٌ لَوْنُها تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾.

﴿قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنا ما هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشابَهَ عَلَيْنا وَإِنَّا إِنْ شاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾.

﴿قالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ لا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لا شِيَةَ فِيها﴾.

﴿قالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوها وَما كادُوا يَفْعَلُونَ﴾[(١)] **فهم بعد كل الجدل والمعجزات قالوا في النهاية: ﴿الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ وكأن موسى عليه السلام كان قبل ذلك على باطل، ويشير القرآن إلى هذا المرض والتثاقل في قبول الموقف من النبي بالقول: ﴿فَذَبَحُوها وَما كادُوا يَفْعَلُونَ﴾. وهذا هو التردد السياسي والعقائدي.**

أمّا حب الدنيا عند بني إسرائيل فبمجرد أن صنع لهم السامري عجلاً له خوار مصنوع من الذهب، ارتدوا وخدعوا و﴿قالُوا هذا إِلهُكُمْ وَإِلهُ مُوسى فَنَسِيَ﴾.[(٢)]

القرآن الكريم يقول: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾[(٣)] **أي حب الدنيا. والقرآن يتحدّث إن نتيجة الأمّة التي يملكها حب الدنيا هي:** ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَكَذلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾.[(٤)]

---

(1) البقرة: ٦٧ - ٧١.

(2) طه: ٨٨.

(3) البقرة: ٩٣.

(4) الأعراف: ١٥٢.

معايشة الطبقة الضعيفة:

من معالم الحركة الاصلاحية لموسى عليه السلام هو المعايشة مع الطبقة المستضعفة، كما في قصة القبطي والإسرائيلي حين جاء موسى عليه السلام إلى جمهور الشعب وشاهد معركة محتدمة بين رجل من بني إسرائيل ورجل من الأقباط، وانتصر موسى لذلك الإسرائيلي على القبطي وقضى عليه، لقد كانت هذه صفة من صفات موسى عليه السلام أن يعيش ميدانياً مع المجتمع وينتصر للطبقة الضعيفة.

التنظيم السري:

لقد بقي موسى عليه السلام ثلاثين سنة في مصر الفرعونية، ويبدو أنه خلال هذه الفترة قام بعملية تنظيم نخبوي سري يقوده هو شخصياً من داخل القصر الفرعوني والله أعلم.

مقارنة بين موسى والحسين عليهما السلام:

توجد عشر نقاط تشابه بين الحركة الاصلاحية لموسى عليه السلام والحركة الاصلاحية للحسين عليه السلام، تشابه على مستوى الأمّة وعلى مستوى الحركة.

١ _ التردد السياسي لدى أمّة موسى والاقبال على الدنيا، وهو ما قامت به أمّة رسول الله بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وكما فعله أصحاب موسى عليه السلام من بني إسرائيل، وهي أحد أهم المشاهد التي تورط بها بنو إسرائيل والأمم السابقة، وكما حدث مع مسلم بن عقيل عليه السلام حيث كان معه ثمانية عشر ألفاً ولكنه بعد صلاة العشاء لم يجد من يدله على الطريق، هذا هو التردد السياسي وعدم الاقدام وحب الدنيا، حيث كانوا

يقولون: (ما لنا والدخول بين السلاطين)،[١] ثمّ إن هؤلاء هم أنفسهم جاؤوا لحرب الحسين عليه السلام والحسين ليس لديه إلاّ نخبة قليلة بينما الأعداء سبعون ألفاً أو ثلاثون ألفاً أو عشرون حسب الروايات[٢] خرجوا في جيش ابن سعد، هذا هو التردد في طاعة الإمام المعصوم.

٢ _ تسلط آل فرعون في زمن موسى عليه السلام وفي زمن الحسين عليه السلام تسلط آل أميّة، وهم عصابة حكموا البلاد وليس شخصاً واحداً، يقول القرآن في قصة موسى عليه السلام: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾[٣] عهد موسى عليه السلام كان يشهد تسلط آل فرعون وليس فرعون وحده، وفي عهد الحسين عليه السلام كان آل أميّة هم المتسلطون على رقاب الناس.

٣ _ موسى عليه السلام أُرسل إلى فرعون للقيام بعملية تغيير ﴿اذْهَبْ إِلى فِرْعَوْنَ﴾ والحسين عليه السلام كذلك قام بعملية تغيير ومحاولة لاسقاط السلطة الأموية.

إن الهدف هو تغيير السلطة السياسية أو تصحيح مواقفها كما كانت هي مسؤولية موسى عليه السلام تجاه فرعون ﴿فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى﴾.

٤ _ عشر سنوات قضاها موسى عليه السلام مع شُعيب في مدين وكان صهراً لشعيب عليه السلام وخادماً عنده ﴿عَلى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ﴾[٤] والحِجَج جَمع حِجَّة وهي تعني السنة. وهو خلال هذه الفترة لم يقم بثورة ولم يكن مبعوثاً ونبياً بعد، بل أنه عندما عاد من مدين إلى مصر في الطريق اختاره الله نبياً وكلَّمهُ تكليماً وأمره أن يذهب

---

(1) حياة الإمام الحسين عليه السلام ٢: ٣٨٥.

(2) أنظر: اللهوف: ٥٣؛ لواعج الأشجان: ١٠٧...

(3) القصص: ٨.

(4) القصص: ٢٧.

إلى فرعون، والحسين عليه السلام أيضاً بقي عشر سنوات بعد شهادة الإمام الحسن عليه السلام ولم يقم بثورة خلالها وخلال حكم معاوية إلى أن جاء يزيد فقام الإمام الحسين عليه السلام بحركة ثورية.

٥ _ سبعون رجلاً هم أصحاب موسى عليه السلام ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا﴾[١] وهم نخبة انتخبهم موسى عليه السلام لكي يأتون للميقات أي اللقاء مع الله تبارك وتعالى ونزول التوراة، وأصحاب الإمام الحسين عليه السلام أيضاً كانوا سبعين رجلاً.

٦ _ موسى عليه السلام قال: أنا أريد من هو أفصح مني لساناً وهو هارون عليه السلام، الله تبارك وتعالى قال: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾[٢] في كربلاء لدينا الحسين عليه السلام وأخوه العبّاس لاسناد حركة الحسين عليه السلام وهو نفس الاسناد بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين أمير المؤمنين عليه السلام في الحديث المعروف: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى»[٣] والعبّاس أيضاً هو إسناد للحسين عليه السلام في كربلاء.

٧ _ موسى عليه السلام يزرع روح المواجهة مع فرعون أي انه يغذي الأمّة بروح التحدي والمواجهة، والحسين عليه السلام أيضاً كان أحد آليات حركته هو تغذية الأمّة بروح المواجهة في قوله: «إني لا أرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ برماً، ليرغب المؤمن في لقاء الله ألا وان الدعي بن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة»[٤] أي أن هناك تعبئة روحية وزرع روح التحدي والمواجهة مع الظالمين.

---

(1) الأعراف: ١٥٦.
(2) القصص: ٣٥.
(3) الهداية: ١٥٨.
(4) مثير الأحزان: ٤٠.

٨ _ الحوار بدل العنف. موسى عليه السلام لما خرج من قصر فرعون وجاء إلى المدينة على حين غفلةٍ من أهلها ووجد اثنين يتخاصمان أحدهما من شيعته والآخر من الاقباط فاستغاثه الذي من شيعته وكان موسى عليه السلام _ وكما يتفق عليه التاريخ _ رجلاً قوياً شديد البأس فوكزه فقضى عليه واكتشف الاقباط ان هناك حركة سياسية ضد فرعون وهم لا يعلمون من يقودها، وفي اليوم التالي نزل موسى عليه السلام إلى المدينة ليتفقد الضعفاء فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه، فقال له موسى عليه السلام: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾[١] **أي إن سياسية موسى عليه السلام لا تعتمد على العنف بل على الحوار. ولهذا القرآن الكريم يقول في المرة الأولى:** ﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾[٢] **وفي المرة الثانية همّ إليه وأراد أن يقتله فالتفت إليه الذي من شيعته وقال:** ﴿إِلاَّ أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِي الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾[٣] **أي نبهه فالأنبياء عليهم السلام ليست طريقتهم العنف فانسحب موسى عليه السلام واستغفر ربه وهذا تأكيد على أن الدعوة يجب أن تكون باتباع سياسة الحوار بدل العنف.**

الحسين عليه السلام حينما قطع عليه الطريق الحر بن يزيد الرياحي، قال زهير بن اليقين: يا أبا عبد الله إن مقاتلة الحر وأصحابه أهون علينا من قتال من سيأتي بعدهم.

قال الحسين: «أكره أن أبدأهم بقتال».[٤]

---

(1) القصص: ١٨.

(2) القصص: ١٥.

(3) القصص: ١٩.

(4) مقتل الحسين لأبي مخنف: ١١٦؛ لواعج الأشجان: ١٢٣.

فحركة الحسين عليه السلام ليست حركة عنف وشدة ولكنهم إذا اعتدوا عليه سوف يرد عليهم.

مرة أخرى نجد ذلك في يوم عاشوراء حين طلبوا من الحسين عليه السلام بأن يرموا الشمر بالسهام قال الحسين عليه السلام: «أكره أن أبدأهم بقتال» فهو يطلب الحوار بدل العنف.

٩ _ هجرة موسى عليه السلام من مصر إلى مدين وكذلك الحسين عليه السلام هاجر أيضاً من المدينة إلى مكّة ومن مكّة إلى العراق، هذه ثقافة الهجرة فالإمام الحسين عليه السلام حينما خرج من المدينة قرأ: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[1] **ولهذا فإن شاعر الحسين عليه السلام يقول:**

خرج الحسين من المدينة خائفاً ... كخروج موسى خائفاً يتكتَّم
لم يَدر أين يريح بُدنَ ركابه ... فكأنما المأوى عليه مُحرَّم

ولما خرج الحسين عليه السلام من المدينة المنورة قرأ: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾.[2]

١٠ _ المعايشة مع الضعفاء، فأصحاب الحسين كان معظمهم من الطبقة الضعيفة. فهو لم يصطفِ أصحاب الجاه والثروة، بل كانت حركة مفتوحة فيها الوجوه الكبيرة مثل بُرير والحر وما شاكل وفيها طبقة محرومة ومستضعفة وعبيد، مثل شوذب العبد مولى شاكر بن عبد الله الشاكري، وآخر اسمه جون وهو عبد لدى أبي ذر الغفاري، والحسين عليه السلام يحتضن كل هذه الطبقة الضعيفة.

---

(1) القصص: ٢١.
(2) القصص: ٢٢.

الحسين عليه السلام في كربلاء:

الحسين عليه السلام لما وصل كربلاء في اليوم الثاني من محرم الحرام كتب رسالة إلى أخيه محمّد بن الحنفية: «أما بعد فكأن الدنيا لم تكن وكأن الآخرة لم تزل والسلام»[١] أي أنه بوصوله إلى كربلاء كأن صفحة الدنيا لم تكن أصلاً وصفحة الآخرة لم تزل موجودة من اليوم الأوّل.

الحسين عليه السلام كان يفتح أمام أصحابه طريق الانسحاب ولا يعرف التاريخ أن ثائراً وقائداً يرخّص جيشه ويقول لهم: اتركوني وحدي إلاّ الحسين عليه السلام، لأنه لم يكن يهدف لتحقيق نصر عسكري، بل كان يهدف إلى خلق الإرادة لدى الأمّة على التغيير وهذا لا يحتاج إلى عدد، فكان يقول لأصحابه وفي أكثر من مرة: «إن القوم إنما يطلبونني. ولو ظفروا بي لذهلوا عن طلب غيري».[٢]

الرواية تقول: إن هذا الحديث استمر إلى اليوم السابع من المحرم حيث كان مع الحسين عليه السلام مجموعات كبيرة وصلوا إلى كربلاء وتقول سكينة في رواية: «لما رّخصهم الحسين عليه السلام كنت أرى خمسة خمسة وعشرة عشرة من أصحاب أبي ينسحبون عنه، إلى أن بقي منهم من بقي سبعون فقط»[٣] أما في ليلة العاشر من محرم الحرام، يقول نافع بن هلال: وجدت الحسين عليه السلام خارج الخيام، فخرجت أثره وإذا به يلتفت إليّ ويقول: أنافع هذا؟

قلت: نعم سيدي أنا نافع.

قال عليه السلام: «ما الذي أتى بك؟».

---

(1) البحار ٤٥: ٨٧/ ح ٢٣.

(2) البحار ٤٤: ٣١٦.

(3) كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ٣٩٩.

قلت: سيدي خشيةً عليك وجئت أحرسك.

الحسين عليه السلام قال له: «يا نافع ألا تسلك بين هذين الجبلين إن القوم لا يطلبون غيري؟»[1] فالحسين هنا لا يريد أفراداً بل يريد قلوباً عاشقة وشخصيات ترسم درساً للتاريخ، فوقع نافع على قدميه يقبلهما.

وهو يقول: سيدي إن فرسي بألف وسيفي بألف فو الله لا أفارقك حتّى يكلاّ من فري وجري.[2]

إنا لله وإنا إليه راجعون.

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾.

* * *

(1) كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ٤٠٦.

(2) أنظر: المجالس الفاخرة: ٢٣١؛ كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ٤٠٦.

(٦ / محرم الحرام / ١٤٢٧ هـ)

المحاضرة الخامسة:

معالم الحركة الاصلاحية عند موسى عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا * وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾.[1]

قال إمامنا الحسين عليه السلام: «ألا إن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت ونفوس أبية وأنوف حمية من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا واني زاحفٌ بهذه الأسرة على قلة العدد وخذلان الناصر».[2]

الحديث ما زال عن الحركة الاصلاحية ابتداءاً من الأنبياء عليهم السلام وحتّى نصل إلى الإمام الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام.

وما زال الحديث عن موسى عليه السلام وقلنا إن موسى عليه السلام حمل مشروع تأسيس الحكم الديني. ولم يكن في مظهر العمل يحمل هذا المشروع. لا إبراهيم ولا نوح عليهما السلام. كانت بداية مشروع تأسيس الحكم الديني قد ظهرت على عهد موسى عليه السلام حتّى تطور الأمر في زمن عيسى عليه السلام وتطور الأمر أكثر حتّى أصبح نبينا صلى الله عليه وآله يبشر بالدولة العالمية والحكم العالمي وهذا تطور. موسى عليه السلام بشر قومه بالدولة في فلسطين. عيسى عليه السلام كان له رسل إلى أنطاكية وإلى ايران، وهي بدايات

(1) مريم: ٥١ و٥٢.

(2) مثير الأحزان: ٤٠.

التحرك نحو الحاكميّة الدينية العالمية، جاء نبينا صلى الله عليه وآله وأسس الدولة الدينية ذات الأفق العالمي بحيث أرسل إلى كسرى الفرس وإلى قيصر الروم، حيث أن العالم يومئذٍ كانت فيه امبراطوريتان، ورسول الله صلى الله عليه وآله كان يتجه باتجاه الدولة الإسلاميّة الدينية العالمية ونحن اليوم نعيش أجواء العالمية والعولمة.

حديثنا ما زال عن موسى عليه السلام وتجربته الاصلاحية بالمقارنة مع الإمام الحسين عليه السلام. وقلت في حديثٍ سابق: إن الإمام الحسين عليه السلام كان في أكثرِ من مقطع يستشهد بمقولات موسى عليه السلام كقوله: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ﴾[1] هذه الكلمات لموسى عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام عند خروجه من المدينة كان يتحدّث بها، وكذلك عند خروجه من مكّة يقرأ قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ﴾[2] وهكذا حينما تكلّم معه جماعة ونصحوه أن لا يذهب إلى العراق فقال عليه السلام مُذكراً أيضاً بتجربة موسى عليه السلام واليهود ومشيراً إلى يزيد وبني أمية: «أنهم لن يدعوني حتّى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي ويرتكبوا مني ما ارتكب اليهود يوم السبت» وقد أشرنا سابقاً إلى عشر نقاط تشابه بين تجربة موسى وتجربة الحسين عليهما السلام، واليوم نستمر في حديثنا.

عمر التجربة:

كان عمر التجربة التي خاضها موسى عليه السلام مائتين وأربعين سنة وهي تقريباً عمر تجربة أئمّتنا من الإمام عليّ عليه السلام وإلى الإمام المنتظر

(1) القصص: ٢١.
(2) القصص: ٢٢.

عليه السلام الذي ولد في سنة مائتين وخمسين للهجرة، فعمر تجربة الأئمّة كلهم هي مائتان وخمس وخمسون سنة، وموسى وحده كان عمر تجربته مائتين وأربعين سنة، وسوف نرى أن أئمّتنا كانوا يعمدون إلى ملء الفراغات، كما كان موسى عليه السلام يملؤ الفراغات، وكما تعلمون أن موسى عليه السلام هو ثالث الأنبياء أولي العزم، وهم أصحاب العزائم والشرائع أي أصحاب القوانين، أي أن لديهم قانوناً أساسياً كما نصطلح عليه اليوم.

المعنى اللغوي لأولي العزم هو أصحاب الشكيمة والإرادة القوية.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾[1] أي أن آدم عليه السلام لم يكن لديه العزم الكافي لتحمل أعباء الرسالة الإلهية، هو نبي لكن مرتبة الرسول أعظم وهذه قضية تحتاج إلى شرح، كما أن مرتبة الإمامة أعظم من مرتبة النبوة، فبعض الرسل كان نبياً ورسولاً ولكنهم لم يصبحوا أئمّة، الإمامة هي مرتبة أعظم وتعني القيادة الميدانية في أحد معانيها، ولهذا يقول الله تعالى لإبراهيم عليه السلام بعدما كان نبياً وكان رسولاً: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾[2] أي انك سوف تتطور من نبي ثمّ رسول ثمّ تصبح إمام أمّة كاملة.

شرائط الحركة الإصلاحية:

الحركة الاصلاحية التغييرية تحتاج لنجاحها إلى ثلاثة أمور:

الأمر الأوّل: المبدأ الصالح.

الأمر الثاني: القيادة الصالحة.

الأمر الثالث: الأمّة الصالحة.

---

(1) طه: ١١٥.

(2) البقرة: ١٢٤.

أي أننا نحتاج مبدأ وقائداً وشعباً، فقد يكون لدينا مبدأ لكن ليس لدينا قائد فلن ننتصر، وإذا توفر المبدأ والقائد ولا توجد أمّة صالحة فلن ننتصر أيضاً.

أمير المؤمنين عليه السلام كان قائداً صالحاً، ومبدأ الإسلام هو مبدأ صالح لكن الإمام لم يكن لديه أمّة صالحة ولهذا لم يستطع أمير المؤمنين عليه السلام أن يحقق ما يصبو إليه، موسى عليه السلام كان لديه مبدأ صالح وهو شريعة التوراة وهو كتاب منزل من عند الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْراةَ فِيها هُدىً وَنُورٌ﴾[1] وهذا هو الشرط الأوّل وهو متوفر لدى موسى عليه السلام، والشرط الثاني وهو القيادة الصالحة متوفر أيضاً، فموسى عليه السلام قائد صالح فهو نبي ورسول، قال تعالى: ﴿وَقَرَّبْناهُ نَجِيًّا﴾،[2] ﴿إِنَّهُ كانَ مُخْلَصاً وَكانَ رَسُولاً نَبِيًّا﴾،[3] ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسى تَكْلِيماً﴾[4] لكن حركة موسى عليه السلام كانت تفتقد الشرط الثالث للنجاح وهو الأمّة الصالحة.

تكامل الأنبياء عليهم السلام:

هنا سؤال: هل أن تجربة النبي التغييرية تعطيه تكاملاً ومزيداً من الخبرة في الشأن السياسي أو حتّى الشأن الشخصي الذاتي أم لا؟ أي أن النبي منذ يوم ولد وإلى أن يموت هل انه في نفس المستوى أم انه يتكامل في معارفه وتجربته؟

قد يتصور البعض ويقول إن النبي معصوم منذ يوم خلقه الله وسواء عاش خمسين أو ألف سنة إلاّ خمسين عاماً، فإن ادراكاته

---

(1) المائدة: ٤٤.
(2) مريم: ٥٢.
(3) مريم: ٥١.
(4) النساء: ١٦٤.

ومعلوماته وقدراته هي نفسها منذ ولدته أمّه، وهذا التصور خطأ طبعاً، فصحيح أن النبي معصوم لكنه بشر، والتجربة الدينية بالنسبة له وعبر الوحي والتسديد الإلهي لا شك انها تعطيه المزيد من الكمال.

نبي الله نوح عليه السلام بعد ألف سنة من التجربة يختلف عما كان عليه قبل ذلك، حيث مرَّ بتجارب كثيرة مُدعمة بالوحي والتعليم الإلهي والمواعظ الإلهية من الله تعالى، وهكذا نبينا صلى الله عليه وآله فهو خاتم الرسل وسيد الخلق لكنه أحياناً كان يطلب من جبرئيل الموعظة ويقول له: يا جبرئيل عِظني، فهو يحتاج إلى الوعظ والتسديد، فالنبي المعصوم يحتاج دائماً إلى الوحي والتسديد وهناك أمور هي من علم الله تبارك وتعالى لا يعرفها النبي فيعلمها له الله تعالى بمرور السنين، قال تعالى: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾[1] إذن هذا تعليم من الله تعالى، ﴿وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾[2] أي أنه لا يمكن في أوّل يوم ولدته أمّه ان يمتلك المعلومات التي يمتلكها بعد ستين سنة مثلاً.

موسى عليه السلام وبناءاً على هذه النظرية (نظرية تكامل حركة الأنبياء) قد مرّ بعملية تكامل. فهو قد بقي ثلاثين سنة في مصر فرعون وصار شاباً قوي الساعدين وشديد الإرادة، ولم يكن خلالها نبياً، وانتقل من مصر إلى مدين وبقي عشر سنوات يخدم في دار شعيب وبعد ذلك _ أي بعد أربعين سنة _ حينما خرج إلى الصحراء ﴿قالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ ناراً﴾[3] حينئذٍ بعثه الله تعالى نبياً: ﴿يا مُوسى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ﴾[4] هذه الأربعون سنة كانت بمثابة دورة تأهيل لموسى عليه السلام

(1) الإسراء: ٨٥.
(2) الكهف: ٦٥.
(3) طه: ١٠.
(4) النمل: ٩.

وهذا لا يتنافى طبعاً مع العصمة، ولهذا فإن موسى عليه السلام كان يعترف بأنه في تجربته السياسية والدينية كان يتكامل ويتطور، ويقول ربما ارتكبت بعض الأعمال التي كان من المفروض ألاّ أرتكبها ـ ليس بمعنى انها حرام بل بمعنى انه يحتاج إلى مزيد من المرونة في الأساليب ليتحول إلى نبي عالمي ـ كما في قصة القبطي والإسرائيلي في مصر حين تخاصما، وقتل موسى عليه السلام القبطي وحينها أدرك موسى عليه السلام بأن هذا العمل كان خطأ ﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾،[1] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾[2] مع أن ذلك الشخص الذي قتله موسى عليه السلام كان كافراً ومعتدياً، لكن موسى عليه السلام كان يحتاج إلى الابتعاد عن مثل هذه الاثارات التي لا يتحملها الظرف السياسي، بالرغم من أن موسى عليه السلام لم يكن حينها نبياً لكن يبدو أنه كان لديه حركة سياسية سرية مع بني إسرائيل، ولمّا انكشفت هذه الحركة السرية جاء شخص من أصحاب موسى عليه السلام ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾[3] الروايات تقول إن موسى عليه السلام لم يرجع إلى البيت ليأخذ معه طعاماً أو ما شاكل ذلك، بل هاجر إلى مدين فوراً،[4] وبعض الروايات تقول: إنه لم يكن يرتدي الحذاء فتقشر جلد قدميه من المشي حافياً.

و في مدخل مديَن وجد مجموعة من الرعاة متجمعين يسقون من البئر وكانت امرأتان واقفتين في جهة تريدان أن تسقيا من البئر ولا تستطيعان فسألهما موسى عليه السلام: ما خطبكما؟

---

(1) القصص: ١٥.

(2) القصص: ١٦.

(3) القصص: ٢٠.

(4) كمال الدين وتمام النعمة: ١٥٠.

قالتا: لا نسقي حتّى يُصدر الرعاءُ.

موسى عليه السلام كان شديداً وقوياً فأبعد من كان حول البئر وسقى لهما ﴿قَالَتَا لا نَسْقِي حَتّى يُصْدِرَ الرِّعاءُ وَأَبُونا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَى لَهُما ثمّ تَوَلّى إِلى الظّلّ فَقالَ رَبّ إِنّي لِما أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[1] **لقد كانت تجربة العمل السري انطلاقاً من قصر فرعون ثمّ الهجرة هي بمثابة دورة تأهيل لموسى عليه السلام، وحينئذٍ وبعدما قطع موسى هذه التجربة التربوية العظيمة مع الله اتخذه الله كليماً.**

لمحات من شخصية موسى عليه السلام:

هناك رواية تقول في الدلالة على تكامل موسى الكليم أن الله تعالى قال: يا موسى أتدري لمَ اتخذتك كليماً؟

قال عليه السلام: إلهي لا.

قال: لأني لم أجد في الأرض من هو أشد تواضعاً منك.[2]

ومرة أخرى قال له الله تعالى: يا موسى اشكرني حق شكري.

قال موسى عليه السلام: إلهي أنا لا أستطيع أن أشكرك حق شكرك لأني كلما شكرتك فهذا منك.

قال: يا موسى هذا هو حق شكري، أي أن تعترف بأنك غير قادر على أداء الشكر.[3]

ورغم أن موسى عليه السلام قد تكامل خلال الهجرة لكن بعض الروايات تقول إن الله لمّا اتخذه كليماً حدّثته نفسه بأن الله إنما اتخذه كليماً لأنه لا يوجد في

---

(1) القصص: ٢٣ و٢٤.

(2) بحار الأنوار ٥٩: ٢٦٨.

(3) الكافي ٢: ٩٨.

الأرض من هو أعلم منه، فأوحى الله إلى موسى عليه السلام أن هناك عبداً من عبادنا آتيناه علماً فاذهب وتعلّم منه. وكان موعد اللقاء هو مجمع البحرين أي ملتقى النهرين، ولما مضى موسى عليه السلام ويوشع وقطعوا مسافة ﴿قالَ لِفَتاهُ **ـ وهو يوشع ـ** آتِنا غَداءَنا لَقَدْ لَقِينا مِنْ سَفَرِنا هذا نَصَباً﴾[١] **فقال يوشع:** ﴿أَ رَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَما أَنْسانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً﴾[٢] **الروايات تقول إن الحوت وهو السمكة كان ميتاً ومملحاً وروايات أخرى تقول إن السمكة كانت حيّة فسقطت في الماء وذهبت،[٣] على كل الأحوال موسى عليه السلام قال: هذه هي العلامة بيني وبين الله فمتى ما ذهبت السمكة في الماء فأنا أذهب لذلك المكان وألتقي بأستاذي فرجع والتقى بعبدٍ** ﴿آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾.[٤]

الروايات تسميه (الخضر) وسمي كذلك حسب ما تقول بعض الروايات، لأنه كان لا يجلس على جذع يابس إلاّ واخضر ولا على أرض جافة إلاّ واخضرت، أي انه إنسان مبارك،[٥] فدخل معه موسى عليه السلام دورة تعليم عدة أيام.

مشكلة الأمّة:

كان موسى عليه السلام قائداً صالحاً والتوراة مبدأ صالح، فأين المشكلة؟ ولماذا لم ينتصر قوم موسى عليه السلام؟

---

(1) الكهف: ٦٢.
(2) الكهف: ٦٣.
(3) الميزان ١٣: ٣٣٩.
(4) الكهف: ٦٥.
(5) أنظر: علل الشرائع ١: ٥٩/ باب ٥٤/ ح ١.

المشكلة هي أن الشرط الثالث للنجاح غير متوفر وهو الأمّة الصالحة، وبنو إسرائيل أمّة غير صالحة.

لقد انتخب موسى عليه السلام منهم سبعين رجلاً من علمائهم وذلك لكي يذهبوا للتعبد على الجبل ولكنهم لم ينجحوا في التجربة، فقال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾.[1] **إذن أمّته وهم بنو إسرائيل هي أمّة غير صالحة، ولهذا فإن بني إسرائيل لم يدخلوا فلسطين ولم يسمعوا كلام موسى عليه السلام، ومات موسى وهارون عليهما السلام في التيه الذي استمر أربعين سنة، وبعد مدة دخل اليهود فلسطين وذلك في عهد يوشع وصي موسى عليه السلام.**

اليهود في فلسطين:

الروايات تقول إنهم لما دخلوا فلسطين بقوا ثلاثمائة وستة وخمسين سنة ولم يؤسسوا دولة ولم يكن لديهم ملك، وإنما تأسست الدولة في عهد داوود أي بعد أربعمائة سنة من موسى عليه السلام لكن هذه الدولة هي دولة استثنائية وبدون أمّة صالحة، فإن داوود لم ينتصر بالأمّة الصالحة وإنما انتصر بالجن والطير والرياح والجبال، وهذا بحث آخر قد نتناوله في موضع آخر.

قرأت في تقرير أن الولايات المتحدة الأمريكية والشعب الأمريكي، حسب ما تخطط له الإدارات الكبرى يفترضون انهم هم الأمّة التي بلغت قمة الحضارة وتريد أن تصبح هي الأمّة المصلحة للعالم وهذه هي العولمة الأمريكية.

نحن في فهمنا أنه لا يمكن لأمّة غير صالحة أن تقود العالم، ربّما تغلب كما غلب فرعون، لكن هداية العالم تحتاج إلى أمّة صالحة.

---

(1) المائدة: ٢٥.

القرآن يقول إن الأمّة الصالحة التي تهدي العالم هي أمّة الإسلام ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾[1] أما الأمّة الأمريكية فأقرأ لكم تقريراً لطيفاً حسب ما نشرته بعض الصحف:

قال المسؤول عن قطاع تنظيم الجنائز في ضاحية مدينة شيكاغو: إن ثمة طلباً متزايداً من الناس لدفنهم مع حيواناتهم المدللة في مدافن عائلاتهم.

ثمّ يستمر التقرير ويقول عادةً ما تدفن الحيوانات الأليفة في مدافن مخصصة لها، وتم على هذا الأساس تخصيص موقع مساحته أربعون فداناً لدفن الحيوانات مع أصحابها في مدافن (ايدن بارك) في متنزه (تشيلر) في ولاية (أنينا) وعشرون فداناً في مدافن (بانيفيو) في متنزه (بيجبارك) ثمّ يتحدث التقرير عن كيفية الدفن ويقول:

الطريقة التي اختاروها _ وهذه هي قمة الحضارات _ أنهم يدفنون الحيوانات على عمق سبعة أقدام ونصف في حين يدفن أصحابها عندما يموتون فوقها أي على عمق ستة أقدام.[2]

عندما قرأت هذا التقرير قلت: سبحان الله هؤلاء يفكرون أن يقودوا العالم بهذه الحضارة، صحيح أنهم يملكون قوة، لكنهم لا يملكون حضارة متقدمة كما يملكها الإسلام والأديان الإلهية.

إن أحد شروط انتصار الحركة الاصلاحية العالمية هو وجود الأمّة الصالحة ذات الثقافة الصالحة.

---

(1) البقرة: ١٤٣.

(2) جريدة الصباح الجديد: العدد ٥٠٨/ ٢ شباط ٢٠٠٦.

الخطاب السياسي للحسين عليه السلام:

الإمام الحسين عليه السلام كان عنده المبدأ الصالح وهو القرآن والإسلام، والقائد الصالح موجود وهو الحسين عليه السلام، لكن النقص الموجود هو الأمّة الصالحة، ولقد كان جهد الحسين عليه السلام وجهد الأئمّة عليهم السلام من بعده في تجربة عمرها مائتان وخمسون سنة هو التثقيف السياسي والتثقيف الديني لتحقيق الأمّة الصالحة.

الحسين عليه السلام عنده حوالي خمسين خطاباً سياسياً، وسوف أقرأ لكم شيئاً من التثقيف السياسي الذي زرّقه الإمام في الأمّة حتّى وصلنا إلى يومنا هذا. فالقدرة التي يمتلكها شيعة أهل البيت والاعتصام السياسي والوعي السياسي لم يأت بالمجان وإنما كان نتيجة التثقيف السياسي الذي غرسه الإمام الحسين عليه السلام في الأمّة.

يبدو أن الحسين عليه السلام مثلما كان موسى عليه السلام يعمل لمدة ثلاثين سنة حتّى انكشف أمره عند فرعون، وعندها هاجر موسى عليه السلام. الإمام الحسين عليه السلام عمل عشر سنوات بعد الإمام الحسن عليه السلام في التثقيف السياسي حتّى قيل لمعاوية: يا معاوية إن الناس مرتبطة بالحسين فاحذر منه، وأخرجه من مكّة والمدينة إلى الشام هذا ما اقترحه مروان والي معاوية في المدينة.

مجموعة أخرى قالوا لمعاوية: يا معاوية إن أنظار الناس متجهة نحو الحسين فاسمح له أن يصعد المنبر ويخطب في الناس فلننظر ما عنده، ونتيجة الضغط الشعبي الكبير سمح معاوية للحسين عليه السلام بأن يخطب.

الإمام الحسين عليه السلام حينما خطب قال: «نحن حزب الله الغالبون، وعترة رسول الله صلى الله عليه وآله الأقربون، وأهل بيته الطيبون، وأحد الثقلين اللذين

جعلنا رسول الله صلى الله عليه وآله ثاني كتاب الله... فأطيعونا فإن طاعتنا مفروضة»[1] كان هذا تثقيفاً سياسياً ومثل هذه الخُطَب لدينا الكثير وموجودة في المصادر.

مؤتمر مكّة:

الإمام الحسين عليه السلام دعا إلى مؤتمر في مكّة المكرمة فقال: لا يوجد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في الحج أحد إلاّ أن تدعوه ومن الصحابة التابعين، فاجتمع عند الحسين عليه السلام سبعمائة صحابي وتابعي فقال لهم الإمام الحسين عليه السلام:

«سأحدثكم بأحاديث فإن صدقت فصدقوني وإن كذبت فكذبوني»، ثمّ بدأ الحسين عليه السلام بذكر ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله في فضل الحسن والحسين عليهما السلام وهم يقولون: صدقت ونحن نشهد بأنا سمعنا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال: «إذا كنتم سمعتموه فبلغوه لكل المسلمين كي لا ينسوه».[2]

هذا هو التثقيف السياسي وهو في مكّة المكرمة وقبل أن يتحرك في الثورة والهجرة إلى العراق وكربلاء.

قصة الأعرابي:

قصة الأعرابي الفقير الذي جاء إلى المدينة المنورة فقال: من أكرم الناس في المدينة؟

قالوا له: أين أنت عن الحسين بن عليّ عليهما السلام؟

(1) الاحتجاج ٢: ٢٢.

(2) أنظر: الاحتجاج ٢: ١٩.

فجاء إلى الحسين عليه السلام وقال: يا أبا عبد الله أنا عرفت أنك أكرم أهل المدينة وأنا محتاج.

الإمام الحسين عليه السلام هنا يريد أن يستفيد من الفرصة في عملية التثقيف الديني وليس مجرد الكرم.

قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «المعروف على قدر المعرفة» _ أي أنه ربط العطاء والكرم بالثقافة _.

قال الأعرابي: سل يا بن رسول الله فإذا عرفت الجواب أجبتك وإذا لم أعرف فأني أتعلم منك.

قال له، المسألة الأولى: أي الأعمال أفضل؟

قال الأعرابي: الإيمان بالله.

الإمام قال له: أحسنت.

ثمّ قال له، المسألة الثانية: ما النجاة من الهلكة؟

أطرق الأعرابي برأسه والتفت وقال: يا أبا عبد الله النجاة عند الشدة التوكل على الله.

الإمام قال: أحسنت.

ثمّ قال الثالثة: ما زينة المرء؟

الأعرابي قال: يا بن رسول الله زينة المرء علمٌ معه حلم.

الإمام الحسين عليه السلام قال: أحسنت، وإذا افترضنا أنه ليس لديه علم ماذا يعمل؟

قال: يا بن رسول الله إذن يجب أن يكون لديه مال مع كرم.

الإمام قال: إذا افترضنا أنه ليس لديه علم ولا مال.

الأعرابي قال: فقرٌ معه صبر.

الإمام الحسين عليه السلام قال: إذا افترضنا أن ليس لديه لا علم ولا مال ولا صبر.

قال الأعرابي: يا أبا عبد الله إذا كان ليس لديه علم وليس لديه مال وليس لديه صبر فماذا يفعل بالحياة فلتنزل صاعقة عليه من السماء فتهلكه. فضحك الإمام الحسين عليه السلام وقال: خذ كل ما تريده.[1]

إذن الإمام الحسين عليه السلام يوظف عملية الكرم في التثقيف الديني، وهكذا نحن نحتاج إلى تثقيف سياسي وإلى تثقيف ديني.

مسلم بن عقيل عليه السلام:

مسلم بن عقيل عليه السلام كان رسولاً لاستطلاع الموقف السياسي لدى أهل الكوفة. وقد كتب الإمام الحسين عليه السلام رسالة لأهل الكوفة يقول فيها: «أما بعد... وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل. فإن كتب إليّ أنه قد اجتمع رأي ملئكم وذوي الحجا والفضل منكم على مثل ما قدمت به رسلكم، وقرأته في كتبكم أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله»[2] وبايع مسلم عليه السلام ثمانية عشر ألف شخص لكن مشكلة هذه الأمّة انها لم تبلغ بعدُ مستوى النضج السياسي وامتلاك الإرادة الحرّة.

مسلم بن عقيل عليه السلام بايعه ثمانية عشر ألف لكن بدون ثقافة ولا إرادة سياسية ولما قيل لهم ما لكم والدخول بين السلاطين تفرقوا، ولما

---

(1) نهج السعادة ٨: ٢٨٦.

(2) أعلام الورى ١: ٤٣٦.

أمسى المساء وبعد أن صلى مسلم بن عقيل صلاة العشاء في مسجد الكوفة خرج وإذا لا أحد يدلّه على الطريق.(١)

بكتك دما يا بن عم الحسين — مدامع شيعتك السافحة
ولا برحت هاطلات العيون — تحييك غاديةً رائحة
لأنك لم تروِ من شربة — ثناياك فيها غدت طائحة
رموك من القصر إذ أوثقوك — فما سلمت فيك من جارحة
وسحباً تُجرُّ بأسواقهم — ألستَ أميرَهمُ البارحة

الحسين عليه السلام في الطريق إلى العراق وصله خبر مقتل مسلم بن عقيل عليه السلام، يقول المؤرخون أنه دعا حميدة بنت مسلم عليه السلام وسالت الدموع لخبر مقتل مسلم عليه السلام كل مسيل فأجلسها في حجره وقال لها: بنية أنا أبوكِ وهؤلاء أعمامك.

إنا لله وإنا إليه راجعون

* * *

(1) أنظر: مقتل الحسين لأبي مخنف: ٤١ - ٤٥.

(٧ / محرم الحرام / ١٤٢٧ هـ)

المحاضرة السادسة:

مقارنة بين عيسى والحسين عليهما السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحديث ما زال متصلاً عن الحركة الاصلاحية لدى الأنبياء عليهم السلام مقارنةً بحركة الإمام الحسين عليه السلام، وفي ليالٍ سابقة تحدّثنا عن الحركة الاصلاحية لدى نوح عليه السلام، ثمّ تحدّثنا عن حركة إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن، ثمّ تحدّثنا عن حركة موسى عليه السلام كليم الله ومعالم حركتهم ومقارنتها بحركة الإمام الحسين عليه السلام وأهدافها.

حركة عيسى بن مريم عليه السلام:

الليلة حديثنا عن الحركة الاصلاحية التي قادها روح الله عيسى بن مريم عليهما السلام.

عيسى بن مريم عليهما السلام هو النبي الرسول الرابع من أولي العزم، وهم: نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، ثمّ نبينا صلى الله عليه وآله، هؤلاء النجوم الخمسة في سماء النبوة، القرآن الكريم يشيد بذكر عيسى بن مريم عليه السلام في العديد من الآيات.

عيسى بن مريم عليهما السلام اليوم يؤمن به مليارات من الناس باعتباره شخصية مقدسة هو وأمّه مريم ابنة عمران عليهما السلام، ويظهرون الاتباع لهم، نحن المسلمون أيضاً نعتقد بقدسية عيسى عليه السلام وصحة دينه، إذن هذا إنسان له اشعاعات في تاريخ البشرية ممتدة إلى يومنا.

نقطة الامتياز عند عيسى عليه السلام أنه كان روح الله، بينما كان إبراهيم خليل الله، وكان موسى كليم الله، أما عيسى فهو روح الله، عيسى عليه السلام ليس له أب،

أي: إن أمه مريم ابنة عمران عليها السلام ليس لها زوج، وإنما نفخ الله فيها من روحه فكان عيسى عليه السلام، وهو كلمة الله ألقاها إلى مريم عليها السلام.

لاحظوا تعظيم القرآن وتقديسه لهذا الإنسان حينما يقول: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾.[١]

الفاصلة الزمنية بين موسى عليه السلام وبين عيسى بن مريم عليهما السلام هي ألف وسبعمائة سنة،[٢] وقيل: ألف وتسعمائة سنة،[٣] وقيل: ألفا سنة،[٤] وقيل غير ذلك، موسى وهارون عليهما السلام ماتا في التيه في صحراء سيناء ولم يصلوا بعد إلى فلسطين ولم يشكلوا الدولة الدينيّة في فلسطين، وإنما شكلت بعد أكثر من ٣٥٠ سنة وكان بنو إسرائيل يعيشون في فلسطين بدون دولة، وفيما بعد سألوا الله تعالى أن يجعل لهم ملكاً[٥] واستجاب الله تعالى لهم وجعل لهم طالوت ملكاً حيث صارت الدولة، ثمّ داوود عليه السلام ثمّ سليمان عليه السلام ثمّ إن هذه الدولة انتهت حينما مات سليمان عليه السلام لأنها كانت حالة استثنائية غير طبيعيّة، دولة قائمة على أساس التنفس الاصطناعي، لأن داوود وسليمان عليهما السلام يعتمدان على جنود من الجن والطير والملائكة والرياح والجبال، أما الناس فليسوا جنوداً وهم بنو إسرائيل الذين قالوا لنبيّهم ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا﴾[٦] **فأنزل الله تعالى الجن والملائكة والحجارة والمياه والرياح تسبح لداوود وسليمان عليهما السلام لكي يؤسس أعظم دولة**

---

(1) النساء: ١٧١.
(2) تفسير جوامع الجامع ١: ٤٨٧.
(3) فتح القدير ٢: ٣٦.
(4) فتح القدير ١: ٣٤٩.
(5) ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسى إِذْ قالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنا مَلِكاً نُقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾، البقرة: ٢٤٦.
(6) المائدة: ٢٤.

بدون إسناد بشري، وهذا أمر على خلاف القاعدة الإلهيّة، ولهذا فإنه بمجرد أن مات سليمان عليه السلام انتهت الدولة العبرية، لأن انتصار الحركة التغييرية وقيام دولة صالحة يحتاج إلى مبدأ وقيادة صالحة وشعب صالح. حسب ما ذكرناه في محاضرة سابقة، فإذا كان الشعب غير صالح فلا يمكن تأسيس الدولة الصالحة، وبنو إسرائيل كانوا شعباً غير صالح بعد أن فضّلهم الله تعالى على العالمين ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[1] **ولكنهم لم يعرفوا استحقاق هذا التفضيل، ولذا قال الله تعالى فيهم:** ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُوا وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ * وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.[2]

لقد بعث الله بعد موسى عليه السلام مجموعة أنبياء، وهم: داوود وسليمان وأيّوب ويونس عليهم السلام خلال ألف وقرون من السنين حتّى بُعث عيسى بن مريم عليهما السلام الذي ولد في فلسطين، وبُعث بهدف تصحيح أمّة بني إسرائيل، أي إن عيسى بن مريم عليهما السلام قام بحركة تصحيحية داخلية في داخل البيت الإسرائيلي الذي يمثل الأمّة الدينية آنذاك، لكنهم انحرفوا.

عيسى بن مريم عليهما السلام وهو في المهد قال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾[3] **وأنا لست بصدد الحديث عن تفاصيل شخصية عيسى عليه السلام ومعجزاته، لأن حديثنا فقط عن الحركة الاصلاحية، ولكي نقارنها بحركة الحسين عليه السلام، عيسى عليه السلام كان ابن خالته نبياً أيضاً وهو**

---

(1) البقرة: ٤٧.

(2) المائدة: ٧٠ و٧١.

(3) مريم: ٣٠.

يحيى عليه السلام، وكان قبل عيسى عليه السلام وكان يبشر بعيسى عليه السلام، وكان يقول: «اني صرخة الله في البادية»، وبعد ثلاثين سنة من عمره بُعث عيسى عليه السلام بالرسالة والنبوة بهدف أن يخوض عملاً تصحيحياً.

عيسى عليه السلام كان آخر أنبياء بني إسرائيل. بنو إسرائيل قتلوا كل الأنبياء الذين بعثهم الله إليهم، وقد حوّل تبارك وتعالى الكرامة الإلهية من بني إسرائيل إلى أمّة رسول الله صلى الله عليه وآله. عيسى عليه السلام هو آخر أنبياء بني إسرائيل، حيث انتقلت النبوة من أمّة بني إسرائيل إلى أمّة أخرى.

نبوة عيسى عليه السلام كانت قصيرة جداً من ناحية زمنية، حيث كانت حوالي ثلاث سنوات من مبعثه وإلى أن رفعه الله إليه. خلال ثلاث سنوات كان عيسى عليه السلام مؤثراً جداً في النفوس، ولقد كان يُبريء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله وهذه معاجز لكن أصل القضية هي قوة الشخصيّة والقدرة القلبية التي لدى عيسى عليه السلام التي جعلت العالم يتأثر به إلى اليوم.

أهداف عيسى عليه السلام:

كان لدى عيسى عليه السلام خمسة أهداف:

١ _ انقاذ بني إسرائيل من عبودية الأرباب من دون الله، حيث إن بني إسرائيل تورطوا بمشكلة وهي: أن علماء السوء عندهم حولوا أنفسهم إلى آلهة مقدسين، وأصبح الناس عبيداً لهؤلاء العلماء، ولهذا فإن عيسى عليه السلام شنّ حملةً شعواء على علماء السوء من بني إسرائيل الذين قاموا بعمل تحريفي في ديانة موسى عليه السلام، والقرآن الكريم يؤكد هذا قائلاً: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾(١) جاء عيسى عليه السلام وقال لهم بأنهم يعبدون أصناماً بشريّة وشنّ

(1) التوبة: ٣١.

حملةً شعواء لأجل تحقيق التوحيد الخالص، وإبعاد الأمّة عن ربوبية غير الله قائلاً: ﴿يا بَنِي إِسْرائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْواهُ النَّارُ وَما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ﴾.(١)

٢ ـ إنقاذهم من التعصّب القومي، لقد كان بنو إسرائيل متعصبين وعندهم نزعة قومية متطرفة وباصطلاحنا اليوم (تكفيريين) وإلى اليوم هذه النزعة القومية الجاهلية موجودة لديهم قالوا نحن شعب الله المختار، القرآن أيضاً ينقل مقالتهم: ﴿نَحْنُ أَبْناءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾(٢) ولديهم ادعاء عريض جداً بأنهم الأمّة المنتخبة التي يجب أن تسود العالم، وأمّا عيسى عليه السلام فقد أصبح يهدم هذه النزعة التكفيرية التي تتعالى وتستحقر سائر الشعوب.

٣ ـ مواجهة التحريف الديني حيث ان بني إسرائيل حرّفوا ديانة موسى عليه السلام، وأعلنوا مبدأ الاباحيّة يوم السبت، حيث أنهم قالوا بأنهم يوم السبت تباح لهم المحرمات وهذه إحدى التحريفات التي قام بها اليهود، وجاء عيسى عليه السلام لكي يصحح هذا الأمر التحريفي، ولعل هذا ما يشير إليه القرآن الكريم وهو يتحدث عن بني إسرائيل قائلاً: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ ما عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ إلى أن يقول: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هذا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾.(٣)

٤ ـ التزهيد في الدنيا: كان هذا هو أحد أهداف ومناهج حركة

---

(1) المائدة: ٧٢.

(2) المائدة: ١٨.

(3) البقرة: ٧٥ - ٧٩.

عيسى عليه السلام الاصلاحيّة فقد غرق بنو إسرائيل اليهود في حب الدنيا وانغمسوا فيها إلى الأعناق، وكانت النزعة النفعيّة الماديّة هي المتحكّمة بسلوكهم دائماً، مع موسى وبعد موسى عليه السلام.

كان حديثهم مع موسى عليه السلام حديث الدنيا ﴿يا مُوسى لَنْ نَصْبِرَ عَلى طَعامٍ واحِدٍ﴾،[1] ﴿أَنزِلْ عَلَيْنا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ﴾.[2]

٥ _ تأسيس منهج المحبة، فلقد كان اليهود تكفيريين وأهل عدوان، وعيسى عليه السلام هو داعية السلام والسلم العالمي، فجاء لغرس منهج المحبة للإنسانية كما هو منهج نبينا صلى الله عليه وآله.

نصوص الانجيل:

هذه هي الأهداف الخمسة لعيسى عليه السلام قد يستأنس بعضكم حينما أقرأ له نصوصاً من انجيل عيسى عليه السلام باتجاه الأهداف الخمسة التي أشرت إليها، يقول:

«يا بني إسرائيل أما تستحيون من الله...

ألم تسمعوا انه قيل لكم في التوراة: صلوا أرحامكم، وأنا أقول لكم: صلوا من قطعكم، واعطوا من منعكم، وأحسنوا إلى من أساء إليكم وسلّموا على من سبَّكم، وأنصفوا من خاصَمكم، واعفوا عمَّن ظلمكم كما أنكم تحبون أن يُعفى عن إساءتكم».

يستمر ويقول: «بحق أقول لكم إن شر الناس لرجل عالم آثر دنياه على علمه فأحبها وطلبها» ثمّ يقول:

---

(1) البقرة: ٦١.

(2) المائدة: ١١٤.

«ماذا يغني عن الأعمى نور الشمس وهو لا يبصرها».

يستمر عليه السلام ويقول:

«بحق أقول لكم إن الحريق ليقع في البيت الواحد، فلا يزال ينتقل من بيت إلى بيت حتّى تحترق بيوت كثيرة، إلاّ أن يستدرك البيت الأوّل من قواعده فلا تجد فيه النار محلاً. وكذلك الظالم الأوّل، ويلكم يا عبيد السوء من أجل دنيا دنية وشهوةٍ رديئة تفرطون في ملك الجنّة وتنسون هول يوم القيامة».

ثمّ يناقش علماء السوء ويقول: «ويلكم يا عبيد الدنيا تحملون السراج في ضوء الشمس وضوءها كان يكفيكم وتدعون أن تستضيئوا بها في الظلم، كذلك استضئتم بنور العلم لأمر الدنيا».[1]

هذه هي مناقشات وجدل عيسى عليه السلام الكبير جداً باتجاه الأهداف الخمسة التي شرحتها لكم.

مشكلة الأمّة:

لقد كانت مشكلة عيسى عليه السلام هي مشكلة أمته التي لم تتقبل رسالته بشكل جيّد، ولقد سيطر المنافقون على السيرة التصحيحيّة التي بدأها عيسى عليه السلام.

بعد عيسى عليه السلام كان هناك شخص يُعتبر الآن هو الشخص أو الخليفة الثاني عند المسيحيين، الخليفة الأوّل بطرس والخليفة الثاني بولص والذي كان منافقاً في زمن عيسى عليه السلام، لكن بعد ثلاثين سنة من مقتل عيسى عليه السلام حسب نظريتهم، ادعى انه تراءى أو تظاهر له إن عيسى عليه السلام ونوره أخذ عيونه وصار

---

(1) تحف العقول: ٥٠٣ - ٥٠٦؛ بحار الأنوار ١٤: ٣٠٦.

أعمى ثمّ بعد ثلاثة أيام فتح الله عيونه وبدأ يقرأ لهم الانجيل، الحركة النفاقية هي التي كتبت الانجيل الفعلي بعد أن سيطرت على الوضع بعد عيسى عليه السلام.

بولص هو الذي كتب الانجيل وهو إنسان لم يكن مؤمناً بعيسى عليه السلام حسب ما يذكر التاريخ، لكن أظهر الحالة الإيمانية وسيطر على الموقف بعد عيسى عليه السلام.

عيسى عليه السلام هل أسس دولة دينية أم لم يؤسس؟

هل انتصر عيسى عليه السلام أم لم ينتصر؟

الجواب هو إن عيسى عليه السلام لم ينتصر ولم يؤسس دولة دينيّة، لقد ذهب اليهود إلى ملك الروم وقالوا له إن عيسى عليه السلام يريد أن يشن ضدك حرباً، وعيسى عليه السلام كان في فلسطين، فجهّز ملك الروم جيشاً وأرسله إلى فلسطين وصلب عيسى بن مريم عليهما السلام بناءاً على نظرية الصلب والقتل، وبعد ثلاثمائة سنة جاء امبراطور الروم قسطنطين وآمن بعيسى وأعلن أن دين الدولة الرسمي هو النصرانية، الخط المنحرف إذن هو الذي سيطر بعد عيسى عليه السلام.

شخصية عيسى والحسين عليهما السلام:

عيسى عليه السلام كان متواضعاً جداً ويعلّم الناس التواضع والمحبة، وكان عنده أصحابه الحواريون ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾[1] **القرآن يقول إن أمّة عيسى عليه السلام كفرت فقال:** ﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ **فنهض معه اثنا عشر شخصاً وهم الحواريون، وهذه نقطة تشابه بين عيسى والحسين عليهما السلام فعيسى عليه السلام عنده أصحاب نصروه والحسين عليه السلام عنده أصحاب نصروه أيضاً بينما تخاذل باقي أبناء الأمّة.**

---

(1) الصف: ١٤.

عيسى عليه السلام مرةً قال لهؤلاء الحواريين: أنا لدي حاجة عندكم.
قالوا: يا روح الله حاجتك مقضية.
قال: إذا كانت حاجتي مقضية مدّوا أرجلكم لأغسلها.
فمدّوا أرجلهم وغسلها.
ثمّ قال: «إنما صنعت بكم ذلك كيما تتواضعوا بعدي للناس».[١]

الحسين عليه السلام مرةً مرّ في الطريق فوجد مساكين يأكلون خبزاً يابساً، الحسين عليه السلام اثنى ركبتهُ وجلس عندهم يؤاكلهم، ثمّ قال: أنا الآن نزلت معكم وأنتم الآن انهضوا معي إلى بيتي، فذهبوا معه ولمّا دخل البيت قال: يا جارية آتينا بما أعددتيه لنا وبدأ يأكل معهم،[٢] هذه هي أخلاقية التواضع عند النبي وعند الإمام.

وفود عيسى عليه السلام للعالم:

عيسى عليه السلام حمل بدايات الدعوة لدولةٍ عالمية، لأوّل مرة نحن نجد أن عيسى عليه السلام أرسل رسلاً وقبل أن يرفعه الله جمع الحواريين وقال: بعد مماتي أريدكم أن تنتشروا في كل العالم. وذهبوا إلى اليابان وإلى أنطاكية، وإلى ايران، وإلى دول آسيا.

القرآن الكريم كما تذكر بعض الروايات في سورة يس يقول: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾[٣] هؤلاء كانوا وفود عيسى عليه السلام إلى أنطاكية وسُجنوا بعد ذلك في أنطاكية. هذا هو عيسى عليه السلام، يؤسس دولة عالمية وبعد ذلك الأمّة الإسلاميّة ورثت هذه الدعوة وجاء

(1) الكافي ١: ٣٧.
(2) تفسير القرطبي ١٠: ٩٥.
(3) يس: ١٤.

رسـول الله صلى الله عليه وآله وشـكّل الدولـة الإسـلاميّة، ثـمّ قـاد حركـة العالميـة الإسلاميّة، فأرسل رسولاً إلى كسرى الفرس وإلى قيصر الروم، أي إلى القطب الشرقي وإلى القطب الغربي في العالم حيث أرسل لهم يدعوهم إلى الإسلام.

عيسى عليه السلام كان يمثل بدايات الدعوة للديانة العالمية.

قلت لكم إن بني إسرائيل اليهود كانت مشكلتهم هي حب المال والدنيا ولهذا كانت معركة عيسى عليه السلام من أجل أن يخلصهم من حب الدنيا؟

خرج عيسى عليه السلام مع ثلاثة من أصحابه، في الطريق شاهدوا ثلاث لبنات من ذهب، عيسى عليه السلام وأصحابه رأوا هذه الأحجار.

قال لهم عيسى عليه السلام: إن هذا يقتل الناس.

ثمّ مشوا ولكن ظلوا يفكرون بهذه الأحجار، وفي الطريق استأذن أحدهم من عيسى عليه السلام ليرجع فأذن له ثمّ استأذن الثاني فأذن له، وكذلك الثالث. وهم يرجعون إلى الأحجار ويتصورون انهم يخدعون عيسى عليه السلام ببعض الأعذار ولكنه يعرف نيتهم، والتقوا عند الأحجار الثلاثة، ثمّ قالوا لأحدهم: اذهب وأحضر لنا طعاماً لنأكله فذهب فوسوس له الشيطان وقال: أنا سأضع لهم السم في الطعام لكي يموتوا وتبقى الأحجار الثلاثة لي وحدي، أمّا الاثنان الآخران فاتفقا على قتل صاحبهما عند عودته لكي تصبح الأحجار لهما وحدهما ولا يشاركهما فيها، فبمجرد أن وصل قتلاه ولما أكلا من الطعام المسموم ماتا على أثر ذلك، فرجع عيسى ووقف عندهم وقال: ألم أقل لكم إن هذا يقتل الناس؟[1]

---

(1) أنظر: أمالي الصدوق: ٢٤٧؛ بحار الأنوار ١٤: ٢٨٤.

تسمية السيد المسيح عليه السلام:

لاحظوا تربية عيسى عليه السلام لقد كان الحواريون معه وكان يسيح بهم، ولهذا سمي المسيح حسب ما تقول بعض الروايات، وهناك عدة تفاسير لتسميته بالمسيح.

تفسير يقول: إن الله مسح عليه وباركه فصار مسيحاً، أي ممسوحاً بيد الله تبارك وتعالى، وتحليل آخر يقول المسيح من السياحة والسيح حيث كان عيسى عليه السلام يكثر السياحة في البلاد أي انه رجل عالمي، وحسب ما يقول هذا التحليل من هنا سمي المسيح ومعه هؤلاء الحواريون الاثنا عشر _ حيث ابتعد عنه بنو إسرائيل _ وفي الطريق وهم منصرفون للعبادة ولم يكن يوجد طعام ولا زراعة لكن كانوا متى ما جاعوا وجدوا طعاماً أمامهم ومتى ما عطشوا وجدوا الماء أمامهم بلا تعب.

فقالوا: يا عيسى نحن منزلتنا عالية جداً نأكل ونشرب بلا تعب ولا عمل فهل يوجد من هو أفضل منا؟

لاحظوا التثقيف الديني، عيسى عليه السلام قال لهم: نعم أفضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه.[1]

نقاط تشابه مع الحسين عليه السلام:

هذه إلمامة عن حركة عيسى عليه السلام، وننتقل إلى الحسين عليه السلام، هناك مجموعة نقاط مقارنة بين الحسين وبين عيسى عليهما السلام والحديث على سبيل الاختصار:

---

(1) تفسير مجمع البيان ٢: ٣٠٤.

مقارنة أولى: عيسى عليه السلام قام بحركة تصحيحية بعد موسى عليه السلام، والحسين عليه السلام قام بحركة تصحيحية ضد الانحراف الذي حدث بعد رسول الله، حيث كان الوضع يحتاج إلى حركة تصحيحية وكان الإمام عليّ والأئمّة عليهم السلام واحداً بعد واحد قادوا هذه الحركة التصحيحية.

لقد تسلط معاوية بن أبي سفيان على التجربة الإسلاميّة وعمل جاهداً على أن يُسبغ على حكمه ثوب الشرعيّة والقدسيّة الدينيّة، لكن جهود الأئمّة الأطهار عليهم السلام التي كان يقف في طليعتها صلح الحسن وثورة الحسين عليه السلام مزّقت هذه الشرعيّة.

تصوروا انه لولا حركة الحسين عليه السلام ماذا كان يحلّ بالإسلام والمسلمين؟ وأي حكم وحاكم كان يحكم على المسلمين باسم الإسلام وهو عدو الإسلام؟ لحد الآن هناك من يحاول أن يبريء يزيد من قتل الحسين عليه السلام، سأقرأ لكم نموذجين:

كلمات ضد الحسين عليه السلام:

الأوّل: شيخ الأزهر وهو المرجع الديني الأعلى في مصر التي هي أم العالم الإسلامي السُني، شيخ الأزهر الأسبق وليس الحالي وهو الشيخ محمّد الخضري يقول: (إن الحسين أخطأ خطأ عظيماً في خروجه، وهو الذي جرّ للأمّة وبال الفرقة والاختلاف وزعزع عماد ألفتها إلى يومنا هذا).[1]

أنتم تصوروا لولا حركة أهل البيت التصحيحية وحركة الشيعة إلى أين كنا سنصل مع مثل هذه النماذج؟!

والنموذج الآخر: محمّد الغزالي، وهو مفكر النخبة الإسلاميّة وشيخ

(1) أنظر: الغدير ٣: ٢٥٨، عن كتاب: تاريخ الأمم الإسلاميّة للخضري: ١٢٩.

الاخوان المسلمين، ومع ذلك يندد بنهضة الحسين عليه السلام ويقول: إنها مجازفة ولا أثر فيها لحسن السياسة، وكان المتعيّن عليه أن يبايع يزيد!

لقد كان الإسلام يتعرض لخطر كبير وهو خطر تسلط الخط النفاقي ووقف أهل البيت عليهم السلام في مواجهة هذا الخطر النفاقي إلى أن اتضحت كثير من الحقائق واكتشفت الأمّة عناصر الانحراف. وأصبح المفكر الكبير الأندلسي ابن رشد يقول: (إن معاوية أقام دولة بني أمية وسلطانها الشديد، ففتح بذلك باباً للفتن التي لا تزال إلى الآن قائمة قاعدة حتّى في بلادنا الأندلس).[1]

والحسن البصري وهو من التابعين أصبح يقول: أربع خصال كن في معاوية لو لم يكن فيه منهنّ إلاّ واحدة لكانت موبقة:

١ _ انتزاؤه على هذه الأمّة بالسفهاء.

٢ _ استخلاف ابنه يزيد.

٣ _ ادعاؤه زياداً.

٤ _ وقتله حجراً وأصحاب حجر، ويل له من حجر.[2]

لقد أثبت التاريخ هذه الجرائم لمعاوية، لكن كل ذلك إنما كان ببركة جهود أهل البيت عليهم السلام.

مقارنة ثانية: إن الحركة التصحيحية التي قادها الحسين عليه السلام وهي حركة تصحيحية في داخل جسم الأمّة الإسلاميّة كما كان عيسى عليه السلام يقوم بحركة تصحيحية في داخل أمّة بني إسرائيل أي من الداخل، لكن هناك فرق بين عيسى والحسين عليهما السلام، حيث أن عيسى عليه السلام لم يواجه

(1) ابن رشد وفلسفته: ٦٠.

(2) أنظر: تاريخ الطبري ٤: ٢٠٩؛ ينابيع المودة ٢: ٢٧؛ شرح نهج البلاغة ٢: ٢٦٢.

امبراطوراً وملكاً بل كان يواجه حالة داخلية من علماء السوء وناساً جهلاء، ولكن الحسين عليه السلام واجه ملكاً وواجه أُمةً جاهلة.

مقارنة ثالثة: هي أن عيسى عليه السلام انتخب اثني عشر من الحواريين وإنما سمّوا حواريين لأن كلمة حور في اللغة تعني أبيض في إشارة إلى بياض قلوبهم أو بياض أبدانهم. حور يعني أبيض، هذا أحد التفاسير اللغوية لمعنى الحواريين، أو بمعنى انهم أصحاب أو أنصار وهو معنى آخر لكلمة الحواري في اللغة.

الحسين عليه السلام أيضاً في حركته اصطفى مجموعة من الناس، وقال: «من لحق بي منكم استشهد ومن تخلف عني لم يبلغ الفتح»،[1] «ومن قبلنا بقبول الحق فالله أولى بالحق ومن ردّ عليّ أصبر»،[2] كما قال عيسى عليه السلام: ﴿مَنْ أَنصارِي إِلَى اللَّهِ﴾؟

لقد لبى نداء الحسين عليه السلام مجموعة قليلة من الأمّة الإسلاميّة وهنا قال الحسين عليه السلام: «إني لا أعلم أصحاباً خيراً ولا أوفى من أصحابي».[3]

مقارنة رابعة: فرق بين الحواريين وبين أصحاب الحسين عليه السلام.

الروايات تقول: إن عيسى عليه السلام لما ألقي القبض عليه وأرادوا اعدامه _ والقرآن يقول: ﴿رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾[4] ولم يقل: قتلوه ولا صلبوه _ لكن في هذه الحالة التي ألقي فيها القبض على عيسى عليه السلام التاريخ يقول: إن أصحابه الحواريين فرّوا عنه وتخلّوا عنه وسيق عيسى عليه السلام وحده للاعدام.

(1) دلائل الإمامة: ١٨٨؛ مناقب آل أبي طالب ٢: ٢٣٠؛ مثير الأحزان: ٢٧.
(2) الفتوح ٥: ٣٣؛ مقتل الخوارزمي ١: ٨٨؛ بحار الأنوار ٤٤: ٣٣٠.
(3) الإرشاد ٢: ٩١؛ بحار الأنوار ٢: ٩١.
(4) النساء: ١٥٨.

أمّا أصحاب الحسين عليه السلام فقد قالوا: لو نقتل ثمّ نحرق ثمّ نذر في الهواء ويفعل بنا ذلك ألف مرة ما تركناك يا أبا عبد الله. هذه نقطة امتياز ولهذا كان أصحاب الحسين عليه السلام سادات الشهداء في الجنّة، فشهادتهم لم تكن شهادة عادية، لأنهم عبروا محنة كبيرة، محنة فكرية ونفسية، آلاف الناس يعرفون إن الحسين عليه السلام على حق وهو سيد شباب أهل الجنّة، ولكن لم يقدروا أن يعبروا تلك المحنة وأصحاب الحسين عليه السلام استطاعوا أن يعبروها.

مقارنة خامسة: عيسى عليه السلام مع المساكين، والحسين عليه السلام مع المساكين كما في القصة التي شرحتها لكم.

مقارنة سادسة: التضحية، عيسى عليه السلام استعد أن يكون شهيداً مضحياً. هذه التضحية لعيسى عليه السلام جعلته يعيش في قلوب مليارات من الناس في العالم، وصار عندهم مشهد إعدام عيسى عليه السلام هو الصليب المقدس، الحسين عليه السلام كذلك كانت تضحيته في كربلاء هي التي أعطته زخماً روحياً مليونياً لدى المسلمين على طول التاريخ بل زخماً عالمياً لدى غير المسلمين.

مقارنة سابعة: عيسى عليه السلام وُلد لعمر ستة أشهر، والحسين عليه السلام أيضاً هو الوليد لستة أشهر كما تقول الروايات.[١]

مقارنة ثامنة: بكاء السماء.

الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام تقول: «لما كان الليلة التي قتل فيها عليّ عليه السلام لم يرفع عن وجه الأرض حجر إلاّ وجد تحته دم عبيط، وكذلك الليلة التي رفع فيها عيسى بن مريم عليهما السلام، وكذلك الليلة التي قتل فيها الحسين عليه السلام».[٢]

---

(1) بحار الأنوار ٣٩: ٧٣.

(2) أنظر نص الرواية في: كامل الزيارات: ١٥٨.

مقارنة تاسعة: إن أبرز من يخرج مع إمام زماننا اثنان أحدهما عيسى عليه السلام، والثاني الحسين عليه السلام.

قد يقول قائل: كيف ذلك والحسين عليه السلام قد قتل؟

الجواب: لقد ثبت أن عيسى عليه السلام ينزل من السماء، وإذا كان عيسى عليه السلام ينزل من السماء فإن الحسين عليه السلام أيضاً يخرج من الأرض، إذا كانت القضية فيها إرادة إلهية فنحن نُسلّم أمام هذه الإرادة الإلهية تسليماً.

الروايات تقول: يخرج عيسى عليه السلام فيصلي خلف المهدي[1] وأوّل من يخرج مع الإمام المهدي عليه السلام هو الحسين عليه السلام.[2]

هذا أحد أوجه المقارنة بين عيسى والحسين عليهما السلام، والحديث في هذا الشأن طويل.

شخصيّة العباس عليه السلام:

أحد نجوم كربلاء اللامعة هو شخصية أبي الفضل العبّاس عليه السلام الذي رسم نموذجاً للمواساة لا نعرف له مثيلاً، حتّى جاء في زيارته الواردة عن الإمام السجاد عليه السلام: «نعم الأخ المواسي لأخيه»،[3] والمواساة هي مسألة غير مسألة البطولة والشجاعة وغير مسألة الآداب مع الحسين، هذا حديث واسع.

القيم الأخلاقية التي جسدها العبّاس يوم كربلاء كثيرة:

منها: الطاعة للحسين عليه السلام والأدب العالي معه حيث لما جاء شمر بن ذي الجوشن إلى الخيام وقال: أين بنو اختنا يقصد أولاد أم البنين لأنها كلابية والشمر

---

(1) الخصال: ٣٢٠.
(2) بحار الأنوار ٥٣: ٤٤.
(3) بحار الأنوار ٩٨: ٢١٩.

أيضاً كلابي، العبّاس عليه السلام يسمع ويعرف انه يقصده واخوته لكن تأدباً مع الحسين عليه السلام كان العبّاس عليه السلام مطأطأ لا يجيب الشمر، ولمّا ألحَّ الشمر بالسؤال قال الحسين عليه السلام: أجيبوه، هنا نهض العبّاس عليه السلام وأجابه.

كل ذلك في جانب والمواساة والايثار في جانب آخر.

أقبل إلى الحسين عليه السلام وقال: أخي أبا عبد الله لقد ضاق صدري وسئمت الحياة ائذن لي بقتال هؤلاء القوم.

فقال له الحسين عليه السلام: إذا أنت مَضيت تفرَّق عني عسكري لكن يا أبا الفضل أطلب لهؤلاء الصبية قليلاً من الماء.

أقبل قمر بني هاشم عليه السلام على المشرعة وكشف عنها أربعة آلاف مقاتل ونزل إلى الماء وملأ القربة، عاد وفي الطريق كَمَن له لعين فضربه على يمينه فقطعها: أنشد العباس عليه السلام يقول:

والله إن قطعتموا يميني ... إني أحامي أبداً عن ديني

وعن إمام صادق اليقين

إنا لله وإنا إليه راجعون.

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾.

* * *

(٨ / محرم الحرام / ١٤٢٧ هـ)

المحاضرة السابعة:

مقارنة بين رسول الله ﷺ والحسين عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿محمّد رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذِلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾.[1]

قال إمامنا الحسين عليه السلام: «أما بعدُ فإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً وإنما خرجت لطلب الاصلاح في أمّة جدي، خرجت لأمر بالمعروف وأنهى عن المنكر فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ومن ردّ عليّ أصبر».

الحديث هذه الليلة على سبيل الايجاز والاختصار عن الحركة الاصلاحية التي قادها خاتم الأنبياء والمرسلين سيد الخلق أجمعين نبينا عليه وعلى آله آلاف التحية والسلام، وقد بشرت به الكتب السماوية السابقة ـ التوراة والإنجيل ـ ﴿محمّد رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ **إلى أن يقول:** ﴿ذِلكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ﴾ **أي أن الأنبياء السابقين تحدّثوا عن النبي محمّد صلى الله عليه وآله وتحدّثوا عن هذه الأمّة أيضاً.**

لاحظوا هناك حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ

(1) الفتح: ٢٩.

بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[1] هـذا تبشير بمجيء نبوة خاتمة جديدة هي نبوة نبينا صلى الله عليه وآله، لكن هناك تبشير وتذكير بحدوث شيء جديد، وأمّة جديدة وهي أمّة رسول الله صلى الله عليه وآله هـذا الأمر سيفتحنا للحديثٍ عن حركة النبي صلى الله عليه وآله الاصلاحية وامتياز هذه الحركة ومعالمها وحتّى نصل للحسين عليه السلام.

النبي صلى الله عليه وآله كما تعلمون ولد في عام الفيل وبُعث بعد ستمائة سنة من ميلاد عيسى بن مريم عليهما السلام _ بينما كانت الفاصلة بين عيسى وموسى عليهما السلام ألف وأربعمائة سنة أو أكثر، وكان خلالها عشرات أو مئات الأنبياء كما قال تعالى: ﴿أَرْسَلْنا رُسُلَنا تَتْرا﴾[2] ولكن بنو إسرائيل لم ينجحوا في التجربة مع أنبيائهم ولهذا فإن لدينا روايات تقول إن بني إسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الشمس إلى غروبها سبعين نبياً.

نبينا صلى الله عليه وآله لا يوجد بينه وبين عيسى عليه السلام نبي ولهذا فإن القرآن الكريم كما في الروايات يعبّر عن هذه الفترة الزمنية بعبارة ﴿عَلى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾[3] أي ليس هناك رسل، أي أن هناك انقطاع بين السماء والأرض وعملية حجب بين صوت السماء وبين الأرض حتّى جاءت نبوة نبينا صلى الله عليه وآله.

الظرف التاريخي هو تحكم امبراطوريتين في العالم وهما امبراطورية الروم وامبراطورية الفرس، وفي هذا الظرف بُعث نبينا صلى الله عليه وآله ليكون نوراً جديداً في الأرض ﴿يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ﴾،[4] ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلى النُّورِ﴾.[5]

(1) الصف: ٦.
(2) المؤمنون: ٤٤.
(3) المائدة: ١٩.
(4) النور: ٣٥.
(5) إبراهيم: ١.

أهداف النبوة الخاتمة:

لا شك أن حركة نبينا ﷺ في الاطار العام هي الدعوة إلى دين الله وترسيخ حركة الأديان الإلهية، فالأنبياء أحدهم يُكمّل الآخر، نبينا ﷺ كان باتجاه ترسيخ الديانة التوحيدية على الأرض وعبودية العباد لله تبارك وتعالى ولكن هنالك أمور مستجدة، وهناك منجزات أخرى لنبينا ﷺ:

الدعوة لدين الله وهو الإسلام ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إبراهيم﴾(١) فالنبي ﷺ يقول: لست بدعاً من الرسل ﴿قُلْ ما كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ﴾(٢) أي انني لست رسولاً منفرداً عن الآخرين بل جزء من سلسلة النبوات، فالدين الذي أدعو له هو نفسه الدين الذي دعا له إبراهيم عليه السلام فهو الذي سمّاكم المسلمين من قبل، هذه الدعوة دخل فيها الرسول ﷺ في مواجهتين:

المواجهة الأولى: مع الوثنية وعبادة الأصنام.

المواجهة الثانية: مع أهل الكتاب أي مع الحركة التحريفية النفاقية التي غلبت الأمم السابقة في خط الأنبياء عليهم السلام، أي أن هناك تحريفاً باسم الدين قاده اليهود والنصارى.

كان نبينا ﷺ بصدد القيام بحركة تصحيحية فيما هو الموروث الديني، أي أن الدين الصحيح الذي نزل من الله على موسى وعيسى وإبراهيم عليهم السلام قد حُرّف وجاء نبينا ﷺ ليقوم بحركةٍ تصحيحية في الخط الديني.

منجزات النبي الأكرم ﷺ:

على هذا الأساس فإن نبينا ﷺ قد حقق أربعة منجزات لم يحققها نبي من قبل:

---

(1) الحج: ٨٧.
(2) الأحقاف: ٩.

١ ـ بناء منظومة فكرية صحيحة وشاملة: الآن نحن المسلمون نمتلك منظومة فكرية صحيحة شاملة لكل مناحي الحياة قادرة على أن تحكم الحياة وتدير البشرية، هذه المنظومة الفكرية هي كتاب الله المشروح بشرح أئمّتنا الأطهار عليهم السلام، فالتوراة والإنجيل قد حُرّفت، صحف إبراهيم عليه السلام وزبور داوود عليه السلام لم يبقَ لهما على الأرض ذكر، لكن القرآن وهو عبارة عن قانون أساسي ومنظومة فكرية في المجال الأخلاقي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي ما زال خالداً.

وهذا هو أعظم مُنجز لنبينا صلى الله عليه وآله ولهذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1] أي أن الله سبحانه وتعالى قد حفظ القرآن من التحريف، التوراة والإنجيل أيضاً من كتب الله، لكن الله لم يحفظهما ربّما لاعتبار القرآن هو الذي سيقود البشرية وهو المعجزة الثقافية الخالدة.

لاحظوا أولئك ما هي معجزاتهم؟ وأمّتنا ما هي معجزتها؟

عيسى عليه السلام كان يبرىء الأكمه والأبرص لكن هذه قضية آنية مقطعية. فإذا انتهى عيسى عليه السلام ومات أو رُفع فإن معجزته انتهت أيضاً، ثمّ إن القضية ليست قضية ثقافية علمية، أمّا القرآن فهو معجزة ثقافية وهذا يعني أن أمّة الإسلام جوهرها الفكر والثقافة ولها قدرة ولياقة على ديمومة الحركة الفكرية وبمقدار ما هو القرآن خالد فإن الحركة الفكرية خالدة لهذه الأمّة. ولهذا فهم ليسوا بحاجة إلى نبي جديد وقرآن جديد.

٢ ـ بناء أمّة قادرة على وراثة الأرض: لقد اختار عيسى عليه السلام من

(1) الحجر: ٩.

أصحابه إثني عشر شخصاً فقط وحينما سحبوا عيسى عليه السلام للاعدام فإن هؤلاء أيضاً تركوه أي أنه لم يستطع أن يصنع أمّة.

موسى عليه السلام معه أمّة بني إسرائيل ولكن هذه الأمّة لم توفّق لكي تواكب حركة موسى عليه السلام ولهذا فقد دعا عليهم موسى عليه السلام في قوله: ﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[1] وانتخب سبعين شخصاً من الحواريين وأيضاً كانت لهم مشكلات مع موسى عليه السلام، فهو لم يستطع أن يصنع أمّة ترث الأرض أيضاً. ولهذا فقد ضاع قوم موسى عليه السلام في صحراء سيناء مدة أربعين سنة ومات نبيهم موسى عليه السلام ومات هارون عليه السلام والأمّة أيضاً مات منهم جيل كامل وجاء جيل جديد.

لكن نبينا ﷺ استطاع أن ينجز أمّة قادرة على وراثة الأرض وديمومة الحياة لها وهذه الأمّة تمتلك الجذور الصالحة للحياة التي لا تموت رغم ما لديها من مشاكل، وما جرى عليها من مشاكل، لكنها تستطيع أن تبقى، ولهذا فقد جاء التبشير في التوراة والإنجيل بأن هناك نبي سيأتي في آخر الزمان ولديه أمّة عظيمة ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ﴾.

قد يقول قائل: إن لدينا تصور سلبي عن أمّة رسول الله بعد النبي ﷺ، وإن هذه الأمّة قد انحرفت.

نقول: صحيح، لكن بذور الحياة كانت موجودة في هذه الأمّة، واستطاعت أن تولّد جيلاً بعد جيل ولم تمت بسيطرة الظالمين والمنافقين، رغم أن هناك أمواجاً قد غطت هذه السفينة لكنها لم تغرق، وذلك لوجود شيء وهو الحصانة الذاتية وهو ضمان ديمومتها، أي أن

(1) المائدة: ٢٥.

هناك إصلاح ديناميكي أو ذاتي في داخل هذه الأمّة «إني تارك فيكم الثقلين أو ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي ألا وإنهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض»[1] أي أنه بمقدار التمسك بالقرآن وبأهل البيت فهذه الحركة تستمر، فهناك تمسك كامل بهذين الركنين وذلك عند شيعة أهل البيت، أما باقي المسلمين فإن لديهم تمسك نسبي بسيط بأهل البيت وبالقرآن الكريم، فآثار أهل البيت ونورهم مبسوط على كل المسلمين كما هي آثار القرآن ونوره، إذن هناك خيط أو صلة بين قارب النجاة وهو القرآن وأهل البيت وبين الأمّة المسلمة وبمقدار تمسكهم تكون نجاتهم.

٣ _ ضمانات البقاء: ليس هنالك نبي أعطى ضمانات بقاء، الأنبياء الماضون قتلوا أو ماتوا بدون ضمانات بقاء لرسائلهم ولأمتهم، وذلك حسب استحقاقات الأمّة يومئذٍ وحسب قدرة أولئك الأنبياء على الكشف عن عالم الغيب وعالم السماء، أمّا نبينا صلى الله عليه وآله فقد استطاع أن يعطي لأمّته ضمانات البقاء ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾[2] يجب أن نلتفت لهذه القضية، فمعنى هذا هو أنه يقول لهم إن ضمانات البقاء الأبدي قد أعطيتها لكم وذلك في يوم عيد الغدير، وفي هذا اليوم لم يأتِ تشريع صلاة وصوم أو زكاة وحج بل هناك شيء اسمه بيعة أمير المؤمنين عليه السلام أي أن إكمال الدين هو بيعة أمير المؤمنين عليه السلام ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ أي نعمة الارتباط بالدين ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾.

---

(1) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٦٨؛ كمال الدين: ٢٣٧؛ سنن الترمذي ٥: ٣٢٨، و... وقد رووه بألفاظ مختلفة مع اتحاد في المعنى.

(2) المائدة: ٣.

عجباً هل أن الله تبارك وتعالى لم يكن يرضى بالإسلام قبل عيد الغدير؟ فما معنى هذه الآية؟ الجواب إن الله هو الذي اختار الإسلام منذ بعث النبي ﷺ، ورضيه ديناً للمسلمين لكن الإشارة هنا هي إن الله رضي بالإسلام ديناً باقياً على الأرض كواقع وكقضية تكوينية وليس مجرد تشريع ونظرية. أي أن الدين الذي سيحكم هو دين الإسلام وهذا بحث واسع.

٤ _ تأسيس الدولة: إن رسول الله ﷺ امتاز عن باقي الأنبياء عليهم السلام بتأسيس الدولة الإسلاميّة، فرسول الله لم يأتِ فقط بقرآن وسُنة ولم يعطِ ضمانات بقاء فقط، ولم يبن أمّة صالحة فقط، وإنما أسّس دولة الأنبياء عليهم السلام، أي أنه فعّل النظرية، وهي النظرية التي طرحها إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، وهي نظرية خلافة الصالحين ووراثتهم للأرض ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ﴾(١) وهي نظرية منذ أيام موسى عليه السلام، لكن من هو الذي استطاع أن يُفّعل هذه النظرية على الأرض؟

نبينا ﷺ أسس على الأرض دولة إسلاميّة وهذا أعظم منجز لرسول الله ﷺ فلقد اختزل حركة الأديان ولآلاف السنين وترجمها على الأرض فكانت دولة إسلاميّة.

٥ _ التبشير بدولة الإسلام العالمية: أي أن رسول الله ﷺ لم يؤسس دولة في الجزيرة العربية فقط، لكي يقول قائل وما قيمة أن تكون دولة في الجزيرة العربية؟ فهي كلها ليست مثل مدينة من مدن امبراطورية الروم أو الفرس.

رسول الله ﷺ اعتبر هذه الدولة الإسلاميّة في الجزيرة العربيّة

---

(1) القصص: ٥.

هي بذرة الإسلاميّة العالمية، ولهذا فقد أرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وفداً إلى كسرى الفرس والى قيصر الروم لكي يدخلوا في الإسلام.

يقول التاريخ: إن رسول الله في معركة الأحزاب (الخندق) حينما وجدوا حجراً ضخماً وكلما أرادوا رفعه تتكسر الفؤوس والمعاول، فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وأخذ الفأس وجعل ثوبه على الفأس وضرب ضربة على الحجر فانثلم من هذا الحجر ثلثه وانفلق نور وكبَّر رسول الله وكبَّر المسلمون، الضربة الثانية والثالثة أيضاً كذلك.

قالوا: يا رسول الله ما هذا النور؟ وما هذا التكبير؟

قال صلى الله عليه وآله: في الضربة الأولى ولما انثلم الحجر ظهر نور أرى فيه قصور الروم كلها أمامي، والثاني بلاد الفرس والثالث بلاد اليمن وبلاد الحبشة،[1] كان هذا تبشيراً بدولة عالمية، وبدأ رسول الله صلى الله عليه وآله يُبشر بدولة عالمية قائلاً: «لا تقوم الساعة حتّى يملك رجل من ولدي يوافق اسمه اسمي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً».[2]

الحقيقة أن التجربة الاصلاحية الكبرى التي قادها سيد الخلائق نبينا صلى الله عليه وآله هي تجربة تستحق الوقوف عندها كثيراً، ونحن آثار هذه التجربة.

اليوم العالم يتحرك بصوت رسول الله صلى الله عليه وآله ولهذا نرى العداء مع نبينا والصحف الدنماركية والترويج لها من قبل الدول الأوربية حينما تهزأ بنبينا صلى الله عليه وآله، أي نبي هذا، من قبل ألف وأربعمائة عام وهم لحد الآن يخافون منه؟

نلاحظ هذه الروح العظيمة قبل ألف وأربعمائة عام ماذا تصنع بالمسلمين اليوم؟

---

(1) البحار ٢٠: ٢١٩.

(2) دلائل الإمامة: ٤٧٧.

الأمّة التي تحركت بعد الاعتداء على شخص رسول الله ﷺ في الصحافة الدنماركيّة هي أمّة حية، وتدب فيها روح جديدة. أمّة تعلمت من رسول الله ﷺ ومن أهل بيته عليهم السلام وهذه آثار عليّ عليه السلام وآثار الحسين عليه السلام في كل العالم الإسلامي.

مقارنة مع حركة الحسين عليه السلام:

أعددت لكم عشر نقاط مقارنة بين حركة الحسين عليه السلام وحركة رسول الله ﷺ:

١ _ الهجرة:

فقد هاجر رسول الله ﷺ هجرتين: الأولى إلى الطائف، والثانية إلى المدينة المنورة، والحسين عليه السلام هاجر من المدينة المنورة إلى مكّة، ثمّ من مكّة إلى العراق، هذا هو خط الهجرة في سبيل الله. والفرق بين الهجرتين هو أن هجرة النبي ﷺ كانت هجرة سرية وهجرة الحسين عليه السلام كانت علنية، والنبي في هجرته استخلف عليّ بن أبي طالب عليه السلام على فراشه والحسين عليه السلام لم يستخلف أحداً في المدينة المنورة، ومن نقاط التشابه بين هجرة النبي ﷺ وهجرة الحسين عليه السلام هي أن هجرة النبي ﷺ كانت بتخطيط إلهي وهجرة الحسين عليه السلام أيضاً بتخطيط إلهي.

جبرئيل نزل على رسول الله ﷺ يقول: يا محمّد، أخرج من مكّة فليس لك بها ناصر بعد أبي طالب،[1] الحسين عليه السلام أيضاً هاجر بتخطيط إلهي، فرسول الله ﷺ قد أخبر بقتل الحسين عليه السلام في كربلاء والأنبياء عليهم السلام قد أخبروا بذلك وعليّ عليه السلام أخبر بذلك أيضاً والحسين عليه السلام يعلم

(1) الجواهر السنية: ٢١٩.

بأن هذا هو تخطيط إلهي، حتّى انه يقول لأم سلمة وهو ما يزال في المدينة المنوّرة عندما قالت له: يا أبا عبد الله أنا أخشى عليك أن تُقتل، قال: «أنا أعلم باني أقتل وأعلم أين أُقتل وفي أي أرض ولو أردتِ أن أريكِ البقعة التي أُقتل فيها»، ثمّ أشار بيده إلى الأرض وانخفضت فرأت مشهد كربلاء وأرض كربلاء، قال: «هذه الأرض التي أُقتل فيها».(١)

٢ _ إن المدينة المنورة كانت مهد الدولة الإسلاميّة لرسول صلى الله عليه وآله، بينما كان العراق مهد الثورة الإسلاميّة للحسين عليه السلام.

رسول الله صلى الله عليه وآله أسس دولة في المدينة حين هاجر إليها، أمّا الحسين عليه السلام فقد هاجر إلى العراق، ليكون منطلق الحركة التصحيحية على يد الحسين وأهل البيت عليهم السلام. العراق هو مهد الحركة التصحيحية للواقع الإسلامي الذي أراد المتآمرون أن يحرفوه.

في العراق كانت عملية المواجهة مع الخط النفاقي الذي تسلط على الأمّة الإسلاميّة وقد كان النبي صلى الله عليه وآله يخبر بذلك _ كما ثبت في أحاديث السنة والشيعة _ ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول: «رأيت في منامي كأن بني الحكم بن أبي العاص ينزون على منبري كما تنزو القردة»،(٢) وهذا مذكور أيضاً في كتب صحاح السُنة، والنبي حدّث المسلمين: «وستفترق أمّتي على ثلاث وسبعين فرقة اثنان وسبعون في النار وواحدة في الجنّة»(٣) هذا حديث متواتر يتفق عليه جميع المسلمين ولم يستطع أحد أن يفسره إلاّ شيعة أهل البيت عليهم السلام، وليس هناك فرقة ناجية غير الفرقة المرتبطة بأهل البيت عليهم السلام. رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «مثل أهل

---

(1) أنظر: الثاقب في المناقب: ٣٣١.
(2) كنز العمال ١١: ١٦٥/ ح ٣١٠٥٤.
(3) البحار ٢٨: ١٣.

بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»[1] وهذا هو حديث (السفينة) فهل أن أولئك الذين نصروا معاوية ويزيد وكتّفوا عليّاً عليه السلام وقالوا له: بايع وإلاّ نضرب الذي فيه عيناك، هل ركبوا السفينة؟ حديث النبي ﷺ هذا لاينطبق إلاّ على شيعة أهل البيت عليهم السلام.

٣ _ الاصرار والعزم الراسخ:

قريش جاؤوا إلى أبي طالب عم النبي ﷺ وقالوا: يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سبّ آلهتنا، قل له يترك ذلك.

أبو طالب رجل سياسي قال لهم: سأتكلم معه في ذلك.

فقال له: يا بن أخي جائتني قريش وقالوا كذا وكذا فما أنت قائل.

قال ﷺ: «يا عمّ والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر حتّى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته»،[2] هذا التصميم الراسخ نجده عند الحسين عليه السلام في كربلاء حين قال: «ألا وان الدعي بن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة يأبى الله لنا ذلك ورسوله ونفوسٌ أبية وأنوفٌ حمية من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام».

هذا الاصرار أصبح يتوارث عند شيعة أهل البيت عليهم السلام والآن بعودة الشعائر الحسينية في العراق يعود الحسين عليه السلام. أمم كاملة وأجيال سابقة وسلاطين أرادوا إبادة هذا النور لكن الحسين عليه السلام قد عاد وهو يتحرك بحركة كل شخص يؤدي الشعائر الحسينية، ونور ينير به أرض العراق ويشع على كل العالم، هذا معنى محرم الحرام ومعنى (هيهات منا الذلة) وهي صرخة موجودة في عروق كل واحدٍ منكم رجالاً ونساءاً، شيباً وشباباً.

---

(1) قرب الاسناد: ٨.

(2) راجع: أبو طالب حامي الرسول: ٢٦.

٤ _ دور الحراسة:

عليّ عليه السلام كان حارس الفواطم، عندما هاجر النبي صلى الله عليه وآله من مكّة إلى المدينة، كان وحده ولم يأخذ معه النساء، فقد كان متخفياً وليس معلناً مثل الإمام الحسين عليه السلام، والذي جاء بالنساء إلى المدينة هو عليّ عليه السلام بعد عدة أيام من أداء الأمانات، فجمع الفواطم وهن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وهي صغيرة يومئذٍ، وفاطمة بنت أسد وهي أم الإمام عليّ عليه السلام، وفاطمة بنت الزبير، وقيل: فاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب، وجاء بالفواطم إلى المدينة المنورة، وهناك في مدخل المدينة المنورة كان رسول الله صلى الله عليه وآله ينتظره، ولمدة خمسة عشر يوماً يقول: «لا أدخل المدينة حتّى يأتي أخي عليّ».

قال له أبو بكر: لقد تأخر عليّ، فلندخل نحن ثمّ يأتي بعدنا.

قال النبي صلى الله عليه وآله: «إنه لن يتأخر، إذا شئت فاذهب أنت» ثمّ ذهب وترك النبي وحده وهذا باجماع المؤرخين، ومكث النبي خارج المدينة خمسة عشر يوماً حتّى جاء عليّ عليه السلام ودخل معه المدينة.[1]

الرواية تقول عن الإمام السجاد عليه السلام: إن ذلك كان أوّل حسد بين أبي بكر وعليّ عليه السلام.

رحلة الحسين عليه السلام من المدينة إلى العراق أيضاً كانت هناك فواطم وزينبيات، من هو الحارس للفواطم والزينبيات؟

هو قمر بني هاشم عليه السلام وهو ابن أمير المؤمنين عليه السلام وهو حارس الفواطم في هذه الرحلة العظيمة.

٥ _ القتال:

حركة رسول الله صلى الله عليه وآله الدينية الاصلاحية هي قتال على التنزيل،

---

(1) أنظر: البحار ١٩: ١٠٦.

وحركة الحسين عليه السلام هي قتال على التأويل، أي إن رسول الله صلى الله عليه وآله قاتل الناس على أصل الإسلام والحسين عليه السلام قاتلهم على جوهر الإسلام، الحسين وعليّ والحسن والأئمّة الأطهار عليهم السلام كانت حربهم على تأويل القرآن، وقد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا عليّ إنك ستقاتل الناكثين والمارقين والقاسطين من بعدي، وإنك ستقاتل على التأويل»،[1] هكذا كان الحسين عليه السلام، قتاله على التأويل وليس على أصل التنزيل.

٦ _ هبوط الملائكة:

الملائكة في يوم بدر هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وآله، في كربلاء أيضاً هبطوا إلى أرض كربلاء، القرآن الكريم يحدّثنا عن هبوط الملائكة في واقعة بدر، يقول: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[2] **أي يتبعهم ألف آخر بقدرهم، ثمّ يقول:** ﴿وَما جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطانِ وَلِيَرْبِطَ عَلى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدامَ * إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْناقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنانٍ﴾.[3]

لقد كانت في بدر أربعة عوامل للنصر: ١ _ الملائكة ٢ _ النوم: إذ جعلهم الله ينامون ليلة كاملة مرتاحين وهم أمام عدو عدده ثلاثة أضعاف جيش المسلمين، وهذا النعاس لكي يطمئنوا بعد خوفهم ﴿أَمَنَةً مِنْهُ﴾ **٣ _ المطر** ﴿وَيُنَزِّلُ

(1) أنظر: كفاية الأثر: ١١٧.

(2) الأنفال: ٩.

(3) الأنفال: ١٠ - ١٢.

﴿عَلَيْكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾. ٤ _ الرعب، حيث ان الله تعالى تدخل مباشرة وأنزل الرعب في قلوب الكافرين، ثمّ قال الله تعالى للملائكة: ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْناقِ﴾ أي اقطعوا الرؤوس واقطعوا أيديهم وأكفهم والراوي يقول: كنا نرى الرؤوس والأيدي تتطاير ولا ندري من يقتلهم.

في آية أخرى تشرح نفس الموضوع ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَ لَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ * بَلى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هذا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾(١) ومسّومين تعني في رواية أن الملائكة قد لبسوا عمائم بيضاء لها أذناب ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول كما في الرواية: كان ينظر إلى جبرئيل وقد تعمم عمامةً بيضاء في السماء، معنى الآية هو إن خمسة آلاف من الملائكة هبطوا يقاتلون دفاعاً عن المسلمين، هذا مشهد من مشاهد الحركة التغييرية التي قادها رسول الله صلى الله عليه وآله.

أمّا الإمام الحسين عليه السلام وكما في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: فإن أربعة آلاف من الملائكة طلبوا الإذن من الله تبارك وتعالى لنصرة الحسين عليه السلام، فلم يؤذن لهم، وفي رواية أخرى أنهم هبطوا إلى الحسين عليه السلام واستأذنوا من الحسين عليه السلام فلم يأذن لهم، وبعد مقتل الحسين عليه السلام أذن الله تعالى لهم بالهبوط إلى كربلاء، فهبطوا فهم عند قبر الحسين عليه السلام إلى يوم القيامة. هنا تحليل سياسي ونفسي مهم جداً، فلماذا في بدر أذن الله للملائكة أن يهبطوا؟ وهنا في كربلاء لم يأذن لهم إلاّ بعد مقتل الحسين عليه السلام؟

الجواب: إن حركة رسول الله صلى الله عليه وآله كانت تنتهي لو قتل أصحابه في بدر. ورسول الله صلى الله عليه وآله قال في بدر: «اللهم إن تهلك هذه العصابة لا

(1) آل عمران: ١٢٤ و١٢٥.

تُعبد»، أمّا حركة الحسين ﷺ فإنها لم تنته بقتل الحسين ﷺ وأصحابه وإنما كانت هناك أمّة تتحرك بعد الحسين ﷺ.

أقرأ لكم الرواية المكررة عن الإمام الصادق ﷺ وفي هذه الرواية بشارة لكم، الصادق ﷺ يقول: «ان أربعة آلاف مَلَك لم يؤذن لهم، راجعوا الله تبارك وتعالى مرة أخرى في طلب الإذن وهبطوا وقد قُتل الحسين ﷺ فهم عند قبره شُعثٌ غُبرٌ يبكونه إلى يوم القيامة فلا يزوره زائر إلاّ استقبلوه ولا يمرض زائر من شيعة الحسين ﷺ إلاّ عادوه وزاروه ولا يموت أحد من زوار الحسين ﷺ إلاّ صلّوا على جنازته واستغفروا له بعد موته، فكل هؤلاء في الأرض ينتظرون قيام القائم»[1] ولدينا في رواية ان الملائكة الذين هبطوا للقتال في بدر لم يصعدوا إلى السماء وإنما بقوا في الأرض ينتظرون قيام القائم لكي ينصروه، هذه مقارنة سادسة بين الحركة الاصلاحية لرسول الله ﷺ والحركة الاصلاحية للإمام الحسين ﷺ.

٧ ـ رسول الله ﷺ واجه حركة تزييف إعلامي وكذلك الحسين ﷺ.

رسول الله ﷺ يدعو إلى دين الله قائلاً: «قولوا لا إله إلاّ الله تفلحوا».

قريش قالوا: سبّ آلهتنا وسفّه أحلامنا وأفسد علينا شبابنا وفرّق جماعتنا. أي أن النبي كان سبب فرقة. أي أنه جاء ليفرّق الأمّة، هذه الاثارة سنجدها على الابواق الأموية ضد شيعة أهل البيت ﷺ وهي مستمرة إلى اليوم، بينما نحن نعتقد أن رسول الله ﷺ هو داعية الوحدة وأهل البيت ﷺ هم دُعاة الوحدة، وشيعتهم هم دُعاة الوحدة، لكن

(1) أنظر: كامل الزيارات: ٢٣٥.

أعداء الحسين عليه السلام قالوا إن الحسين داعية للفرقة ولديه فتنة طائفية، هذه لغة التزييف الاعلامي.

أوّل من سجل على الحسين عليه السلام تهمة الشقاق هو معاوية، حيث كتب رسالة للحسين عليه السلام يقول: (أنه بلغني أنك تريد أن تشق عصا الطاعة)،[١] لاحظوا هذه اللغة، يزيد شارب الخمر يجب عليكم أن تطيعوه! وإذا خالفه ابن رسول الله صلى الله عليه وآله يقولون: يا بن رسول الله أنت تشق عصا الطاعة، التآمر هكذا يصنع.

الحسين عليه السلام واجه تزييفاً اعلامياً، وتهمة بالفتنة الطائفية وتهمة بالشقاق واستمرت هذه التهمة.

وأنا أقول لكم ولدي تحقيق في المسألة من الذي وصف العراقيين بأهل الشقاق والنفاق؟

نحن نسمع كثيراً هذه العبارة وهي نتيجة التزييف الاعلامي الصادر من الأمويين، باعتبار أن شيعة العراق هم دائماً من يطالب بتغيير الحكم الأموي، ولذلك سُمّوا من قبل الأمويين بأنهم أهل الشقاق والنفاق وأنهم دائماً على خط المعارضة.

الحجاج بن يوسف الثقفي هو الذي وسم العراقيين بأنهم أهل الشقاق والنفاق،[٢] يعني الشقاق والخروج على الحكم الأموي، وهو نقطة امتياز للعراقيين، وهو أنهم لا يستسلمون للذل والهوان. الحسين عليه السلام اتهموه بالشقاق، وهذا من فخر الشيعة بأنهم لم يسلّموا تسليماً لمجموعة وعصابات منافقة حكمت العراق عبر ألف وأربعمائة سنة.

(1) أنظر: بحار الأنوار ٤٤: ٢١٢.

(2) أنظر: شرح نهج البلاغة ١: ٣٤٤؛ تاريخ دمشق ١٢: ١٩٣؛ البداية والنهاية ٩: ١١.

٨ _ إضرام النار:

هنـاك علـى بـاب الزهـراء ودار علـي وهـي بـاب رسـول الله ﷺ، أُضرمت النـار، ويـوم كـربلاء أيـضاً أضـرموا النـار على خيـام حـرم رسـول الله ﷺ وبناته.

٩ _ علـيّ عليه السلام قـادوه مـن منزلـه مكتوفـاً بحمائـل سـيفة، وجـاؤوا بـه إلـى المـسجد لكـي يبـايع أو يُقطـع رأسـه،[1] وهنـاك علـيّ آخـر فـي كـربلاء أُخذ أسيراً أيضاً وهو عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام.

علـيّ عليه السلام أخـذ أسـيراً وهـو وصـي رسـول الله ﷺ، وعلـيّ بـن الحـسين عليه السلام أخـذ أسـيراً أيـضاً وهـو وصـي الحـسين عليه السلام، هـذه مـشاهد الأسر عند أئمّة المسلمين وليست مشاهد الأسر في الروم.

١٠ _ فـي الحركـة الاصـلاحية النبويـة كـان هنـاك رسـول الله ﷺ أمـا فـي يـوم عاشـوراء فلـم يكـن هنـاك رسـول الله ﷺ لكـن كـان لـدينا شـاب يـشبه رسـول الله خلقـاً وخُلقـاً ومنطقـاً، وكأنـه رسـول الله يمـشي علـى الأرض وهو عليّ الأكبر.

الإمام الحسين عليه السلام يقول: «كنا إذا اشتقنا إلى رؤية نبيك نظرنا إلى هذا الغلام» وكانوا إذا أرادوا أن يستمعوا لصوت النبي ﷺ فانهم يطلبون من الأكبر بأن يؤذّن، فهو يشبه رسول الله ﷺ في الشكل والمنطق والحنجرة وفي المشي والأخلاق، ولهذا قال الإمام الحسين عليه السلام: «اللهم اشهد على هؤلاء القوم فقد برز إليهم أشبه الناس خلقاً وخُلقاً ومنطقاً بنبيك محمّد ﷺ وكنا إذا اشتقنا إلى رؤية نبيك نظرنا إلى هذا الغلام».[2]

(1) المسترشد: ٣٧٧.

(2) أنظر: اللهوف: ٦٧؛ مقتل أبي مخنف: ١٦٢.

جاء عليّ الأكبر يطلب الإذن من الحسين عليه السلام بقتال القوم بعد أن قُتل جميع أصحاب الحسين عليه السلام وكان أوّل من برز من أهل بيت الحسين عليه السلام دفاعاً عن الحسين عليه السلام وطلباً للماء.

الرواية تقول إن الحسين عليه السلام عانقه وسالت الدموع، وهذا أوّل فراق لعزيزٍ من أولاد الحسين عليه السلام، عليّ الأكبر خاض الميدان كمقاتل قوي، اجتمعت عليه الحشود وقاتل قتال الأبطال، حتّى قتل منهم مائة وعشرين فارساً وهو يقول:

أنا عليّ بنُ الحسين بن عليّ	أضربُكم بالسيفِ حتّى ينثني
تاللهِ لا يحكمُ فينا ابنُ الدعي	نحن وربّ البيتِ أولى بالنبي
أضربُكم بالسيفِ أحمي عن أبي	ضرب غلام هاشميّ علوي

رجع إلى الحسين عليه السلام يطلب ماءاً ويستريح ساعةً، الحسين عليه السلام عطشه أكثر من عطش عليّ الأكبر.

قال: أبه هل من شربة ماءٍ أتقوى بها وأرجع إلى الأعداء.

الرواية تقول: إن الحسين عليه السلام وضع لسانه في فم عليّ الأكبر فوجد أن لسان أبيه كالخشبة اليابسة، ورجع الأكبر إلى القوم يقاتلهم.

وقد كان بشره الحسين عليه السلام قائلاً: «بُني عليّ سيسقيك جدك رسول الله صلى الله عليه وآله».

إنا لله وإنا إليه راجعون.

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾.

* * *

(٩ / محرم الحرام / ١٤٢٧ هـ)

المحاضرة الثامنة:

أخلاق النبي محمّد ﷺ

وأخلاق الحسين عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ما كانَ محمّد أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ ولَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخاتَمَ النَّبِيّينَ وَكانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾.[1]

قال إمامنا الحسين عليه السلام: «إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة...، ويزيد رجلٌ فاسق شارب الخمر قاتل النفس المحترمة...، ومثلي لا يبايع مثله ولكن نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أيّنا أحق بالبيعة والخلافة».[2]

منجزات الرسول صلى الله عليه وآله:

حديثنا هذه الليلة في سلسلة أحاديث الحركة الاصلاحية من نوح عليه السلام أبي الأنبياء إلى الحسين عليه السلام سيد الشهداء، وتحدّثنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وقلنا انه كان له خمسة منجزات تميز بها عن سائر الأنبياء وهو خاتمهم وسيدهم.

أوّلاً: كان أحد تلك المنجزات هو تأسيس الدولة الإسلاميّة بينما الأنبياء عليهم السلام لم يؤسسوا دولة إسلاميّة.

ثانياً: الأنبياء عليهم السلام لم يقدموا منظومة فكرية تشريعية شاملة وصالحة مدى الدهر وإنما كانت مهماتهم مرحلية، بينما نبينا قدّم منظومة فكرية تشريعية شاملة.

---

(1) الأحزاب: ٤٠.

(2) البحار ٤٤: ٣٢٥.

ثالثاً: **الأنبياء** عليهم السلام **لم يقدموا ولم يحققوا أمّة صالحة لميراث الأرض، الأمم السابقة تبرَّم منها أنبياؤها، موسى، عيسى، إبراهيم، لكن نبينا** صلى الله عليه وآله **حقق أمّةً قادرة على ميراث الأرض ومواصلة المسيرة** ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.[١]

رابعاً: **ضمانات البقاء. الأنبياء السابقون** عليهم السلام **لم يقدموا ضمانات بقاء لشريعتهم ولأمّتهم بينما نبينا** صلى الله عليه وآله **قدّم ضمانات بقاء «إني تاركٌ فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً».**[٢]

خامساً: **التبشير بالعالمية الإسلاميّة** ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[٣] **وهذا تبشير بالعالمية الإسلاميّة.**

الأحاديث أيضاً المتفق عليها تقول عن رسول الله صلى الله عليه وآله: **«لو لم يبقَ من الدنيا إلاّ يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يظهر رجلٌ من ولدي يواطيء اسمه اسمي يملؤها عدلاً وقسطاً بعدما مُلئت ظلماً وجوراً»،**[٤] **هذه هي العالمية الإسلاميّة ونحن في زمن التمهيد للعالمية التي دعا إليها الإسلام قبل ألف وأربعمائة عام.**

أركان العالميّة الإسلاميّة:

العالمية الإسلاميّة تعمتد على ثلاثة أركان:

الركن الأوّل: الإنسانية العالميّة، وليس القومية أو المناطقيّة، بل الإنسان

---

(1) آل عمران: ١١٠.

(2) أنظر: كمال الدين: ٢٣٧.

(3) التوبة: ٣٣.

(4) كنز الفوائد: ١١٣.

خليفة الله في الأرض، وكرامة الإنسان وأخوته وحقوقه، هو أوّل ركن لتحقيق العالمية الإسلاميّة في مشرق الأرض وغربها، «الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على أعجمي إنما الفضل بالتقوى».[1]

الركن الثاني: الارتباط بالله، بمعنى إن الدين الإلهي التوحيدي هو الذي يمثل جوهر إنسانية الإنسان، إنسانية الإنسان بهويته الدينية وليس بقدراته الماديّة.

الركن الثالث: حاكمية الإسلام، أي حاكمية الدين الإسلامي وخاتميته، حلال محمّد حلال إلى يوم القيامة وحرام محمّد حرام إلى يوم القيامة.

هذه أصول العالمية الإسلاميّة.

خلافة الإنسان:

الإسلام يعتقد أن الإنسان خليفة الله في الأرض كما يقول الله تعالى لملائكته: ﴿إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾،[2] ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْناهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ وَفَضَّلْناهُمْ عَلى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلاً﴾.[3]

الإنسان في نظرية الإسلام هو خطوة للكمال والاقتراب من الله تبارك وتعالى، ليس الإنسان هو مجموعة شهوات وأنانيات كما تمارسه وتطرحه المادية الحديثة التي ابتعدت عن دين الله وعن حضارة الإسلام، وأصبحت تتعامل مع الإنسان إمّا على أساس أنه قرد تحول إلى إنسان، أو أن الإنسان كما في نظرية فرويد هو عبارة عن إيحاءات الجنس وتأثيرات الغريزة الجنسيّة فقط.

الفلسفة النفعية التي ظهرت في الغرب تقول إن مقياس الحق

---

(1) المبسوط ٥: ٥٣.

(2) البقرة: ٣٠.

(3) الإسراء: ٧٠.

والباطل هو المنفعة فقط، فلا مبادئ، ولا قيَم، وإنما هي المنافع، هذه الفلسفة النفعية البرجماتية.

أمّا الإسلام فيقول: إن الإنسان هو مخلوق مكرّم وهو خليفة الله في الأرض، وهو يتحرك باتجاه الله ﴿يا أَيُّهَا الإِنسانُ إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ﴾،[1] ﴿يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[2] **هذا الإنسان له سير وعروج نحو الله تبارك وتعالى.**

أما النظرية الغربية ففيها سير نحو الجنس والهوى والأنانيات بما لا يفرق عن أي حيوان من الحيوانات سوى أنه أكثر ذكاءاً ومكراً.

وإذا رجعنا إلى الفلسفة الماركسية البائدة التي تقول إن الإنسان ليس عبارة عن قيم وثقافة ودين وأخلاق وأهداف عالمية، وإنما الإنسان عبارة عن مركب يحركه رأس المال والأدوات الصناعية، أي إن رأس المال يحرك الثقافة والدين والأخلاق، إذن هذا التاريخ العظيم وتاريخ معركة الحق والباطل غير موجود في المنظومة الماركسية، فمهما تقدم الإنسان وتطور في شكلياته وآلياته فهو عبارة عن صراع من أجل المال وتوزيع المال كما تتصارع الحيوانات على فريسة.

لاحظوا هذا هو الإنسان في النظرية الغربية الحديثة والنظرية الماركسية.

أما في حضارة الإسلام ﴿إِنِّي جاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنا

---

(1) الانشقاق: ٦.

(2) الفجر: ٢٧ - ٣٠.

﴿بَنِي آدَمَ﴾ أيها الإنسان أنت لست جسماً حيوانياً كسائر الحيوانات تموت وتتلاشى وتنتهي، أنت جوهر نقي وإنسانية تعرج إلى الله فتلتقي به ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾[1] هذه الفكرة تنساق على جميع البشر، فكل البشر يمثلون ذلك الإنسان الذي كرمه الله ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ ولم يقل عرباً، عجماً أو بيضاً وسوداً، لهذا اتخذ رسول الله ﷺ من بلال الحبشي مؤذناً وهو أسود.

يومئذٍ كانت هناك مجموعات مسحوقة، وكانت قريش وكبراء قريش من أمثال أبي لهب وأبي جهل من الذي يجلدون العبيد وكان بلال من أولئك العبيد السود، فلما جاء الإسلام صار بلال الحبشي مؤذن رسول الله وحين يؤذن يأتي كل المسلمين للصلاة في المسجد.

كان بلال لديه لثغة في لسانه لأن الأحباش يلفظون حرف الشين (سين) فبدلاً من أن يقول (أشهد أن لا إله إلاّ الله) يقول: (أسهد أن لا إله إلاّ الله) فسخر منه بعض الكبراء، فقال رسول الله ﷺ: «إن سين بلال عند الله شيناً».[2]

إن المهم والمقياس ليس هو اللفظ، فقد يكون الشخص لا يعرف اللغة العربية، فيجب أن تزول هذه الفواصل في اللغة والقوميات وما شاكل ذلك.

سلمان الفارسي له موقع عظيم في التاريخ الإسلامي، وكان يلقب بـ (لقمان هذه الأمّة)، كان حكيماً وكبير العمر، لكن العصبيات الجاهلية المتطرفة كانت موجودة.

دخل مرة سلمان الفارسي للمسجد فقام له المسلمون اجلالاً

---

(1) الأعراف: ٢٩.
(2) عدة الداعي: ٢١.

وتعظيماً واحتراماً، الرواية تقول: إن عمر بن الخطاب قد امتعض من هذه الحالة فقال: من هذا الأعجمي؟ ثمّ سأل سلمان الفارسي وقال له: يا أبا عبد الله ما هو أصلك وحسبك؟ وذلك بعد أن سأل غيره من الحاضرين.

فقال سلمان: كنت ضالاً فهداني الله بمحمّد، وكنت فقيراً فأغناني الله بمحمّد، وكنت مملوكاً فأعتقني الله بمحمّد.[١] وحدث هناك جدل في المسجد على ما يبدو ووصل الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فتألم لهذا الحال وقال: «الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربيّ على أعجمي ولا لأحمر على أبيض إلاّ بالتقوى، سلمان منا أهل البيت»[٢] وثبتت هذه الفضيلة لسلمان، هذه هي أسس العالمية الإسلاميّة وليست القومية، الإسلام فوق القوميات. وعالمية الإسلام تشمل كل البشر.

أخلاق النبي صلى الله عليه وآله:

رسول الله صلى الله عليه وآله يمثل عمق الخُلق الإنساني.

دخل عليه مرة شخص وقد هابه فكان يرتجف، قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: على رسلك إنما أنا ابن أمة.

رسول الله صلى الله عليه وآله كان يجلس مع العبيد ويجلس جلسة العبيد ويأكل معهم وهو نبي الإسلام والإنسانية.

الرواية تقول عن الإمام الباقر عليه السلام: أتى رسول الله مَلَكٌ قال له: إن الله يُخيّرك أن تكون عبداً متواضعاً رسولاً، أو ملكاً رسولاً،[٣] قال فنظر

---

(1) أنظر: روضة الواعظين: ٢٨٣.

(2) أنظر: الايضاح: ٢٨٢.

(3) الكافي ٢: ١٢٢.

رسول الله ﷺ إلى جبرئيل فأومأ بيده إليه أن تواضع فقال رسول الله ﷺ: عبداً رسولاً متواضعاً.

لقد كان رسول الله ﷺ يأكل على الأرض ويجلس جلسة العبد ويخصف بيده نعله، ويركب الحمار العاري _ أي بدون سرج وذلك للمزيد من التواضع _.

وفي الحديث عن عليّ عليه السلام: «كان ﷺ يبكي حتّى يبتلّ مصلاّه خشيةً من الله عزّ وجلّ من غير جرم»[1] أي أنه ﷺ يبكي من غير ذنب، لكن هذا هو شأن العبيد مع مولاهم، أيضاً كان يبكي حتّى يُغمى عليه فقيل له: يا رسول الله أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟

قال ﷺ: «أفلا أكون عبداً شكوراً».[2]

كان يقول: أستغفر الله وأتوب إليه في كل يوم سبعين مرة.

وكان له موالي ومن يخدمه من غير أن يرتفع عليهم في مأكل أو ملبس.

كان أرأف الناس بالناس وخير الناس للناس وأنفع الناس للناس.

وكان ينظر في المرآة وكان يُرجّل _ أي يمشط ويرتب شعره _ ولقد كان يتجمل لأصحابه فضلاً عن تجمله لأهله ويقول: «إن الله يحب لعبده إذا خرج إلى اخوانه أن يتهيأ لهم ويتجمل».[3]

وكان إذا حدّث بحديثٍ تبسّم في حديثه بل كان عنده

---

(1) مستدرك الوسائل ١١: ٢٤٠.

(2) مستدرك الوسائل ١: ١٢٦.

(3) مكارم الأخلاق: ٣٥.

مـزاح ودعابـة، الإمـام الـصادق عليه السلام يقـول: «مـا مـن مـؤمن إلاّ وفيـه دعابـة»،[1] وكـان رسـول الله صلى الله عليه وآله لا يقـول إلاّ حقـاً، حتّـى انـه كـان يأتيـه الأعرابـي فيـأتي إليـه بهديـةٍ ثـمّ يقـوم مكانـه ويقـول: أعطنـا مكـان هـديتنا فيـضحك رسـول الله صلى الله عليه وآله، وكـان إذا اغـتم يقـول: «مـا فعل الأعرابي ليته أتانا».[2]

وكان لا يسأله أحد من الدنيا شيئاً إلاّ أعطاه.

حدث مرة إن امرأة قالت لابنها: اذهب إلى النبي وطلب منه حاجة وإذا لـم يكـن لديـه شـيء قـل لـه بـأن يعطيـك قميـصه الـذي يلبـسه، فجـاء الصبي وقال: يا رسول الله اعطني.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ليس لدي شيء.

فقال الصبي: اعطني قميصك الذي تلبسه.

الروايـة تقـول: فأخـذ صلى الله عليه وآله قميـصه وأعطـاه لهـذا الطفـل،[3] وصـل الأمـر إلـى سـؤالهم النبـي صلى الله عليه وآله أن يعطـيهم ملابـسه التـي هـو أيـضاً بحاجـة ماسة لها، لكن كرمه هكذا يصنع.

هنـا القـرآن الكـريم نـزل يقـول: لا يـا رسـول الله فللكـرم حـدود ﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ﴾.[4]

رسـول الله صلى الله عليه وآله كـان يختـضب أي يـصبغ شـعره ولحيتـه، ولهـذا نـرى أن الحـسين عليه السلام فـي كـربلاء كـان مختـضباً. قـال الـراوي: نظـرت إلـى الإمـام

(1) السرائر ٣: ٥٧٩.
(2) الكافي ٢: ٦٦٣/ ح ١.
(3) أنظر: الكافي ٤: ٥٦.
(4) الإسراء: ٢٩.

الحسين في كربلاء وإذا لحيته كجناح الغراب فقلت في نفسي: إن الحسين عمره ستون سنة فهل من المعقول أن لا يوجد في شعره الشيب، قلت: يا أبا عبد الله هذا خضاب؟ الإمام عليه السلام وبأدبه الجميل كنّى كناية وقال: «نحن أهل بيتٍ يُسرع إلينا الشيب».

وكان رسول الله ﷺ يتعطر.

الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام تقول: كان رسول الله ﷺ ينفق في الطيب أكثر مما ينفق في الطعام.[1]

أنظروا إلى جمال الإنسانية وقيم الإنسان.

الرواية تقول: كان رسول الله ﷺ إذا مشى، مشى مشياً يُعرف بأنه ليس بعاجز ولا كسلان[2] أي أنه يمشي مستقيم القامة مقتدراً في المشي مهيباً وغير متكبر.

حقوق الإنسان:

العالمية الإسلاميّة تعتمد على الاهتمام بحقوق الإنسان وخلافته وكرامته.

الحديث النبوي يقول: «الناس مسلَّطون على أموالهم».

الرواية عن الإمام عليّ عليه السلام تقول: «من ظلم عباد الله كان الله خصمه يوم القيامة»[3] هذه هي حقوق الإنسان في الإسلام.

أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «وَاللَّهِ لَأَنْ أَبِيتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً أَوْ أُجَرَّ فِي الْأَغْلَالِ مُصَفَّداً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ

(1) الكافي ٦: ٥١٢.

(2) سنن النبي: ١٦١.

(3) أنظر: نهج البلاغة ٣: ٨٥/ كتابه عليه السلام لمالك الأشتر.

الْقِيَامَـةِ ظَالِمـاً لِـبَعْضِ الْعِبَـادِ وَغَاصِباً لِـشَيْءٍ مِـنَ الْحُطَـامِ...، وَاللَّـهِ لَقَـدْ رَأَيْـتُ عَقِيلًا وَقَـدْ أَمْلَـقَ حَتَّـى اسْتَمَاحَنِي مِـنْ بُـرِّكُمْ صَـاعاً وَرَأَيْـتُ صِـبْيَانَهُ شُـعْثَ الـشُّعُورِ غُبْـرَ الْـأَلْوَانِ مِـنْ فَقْـرِهِمْ كَأَنَّمَـا سُـوِّدَتْ وُجُـوهُهُمْ بِـالْعِظْلِمِ وَعَـاوَدَنِي مُؤَكِّـداً وَكَـرَّرَ عَلَـيَّ الْقَـوْلَ مُـرَدِّداً فَأَصْـغَيْتُ إِلَيْـهِ سَـمْعِي فَظَـنَّ أَنِّـي أَبِيعُـهُ دِينِي...، فَأَحْمَيْـتُ لَـهُ حَدِيـدَةً ثُـمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِـرَ بِهَا فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي دَنَفٍ مِـنْ أَلَمِهَا وَكَادَ أَنْ يَحْتَـرِقَ مِـنْ مِيسَمِهَا فَقُلْـتُ لَـهُ: ثَكِلَتْكَ الثَّوَاكِلُ يَـا عَقِيـلُ أَتَـئِنُّ مِـنْ حَدِيـدَةٍ أَحْمَاهَـا إِنْـسَانُهَا لِلَعِبِـهِ وَتَجُرُّنِـي إِلَـى نَـارٍ سَـجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ»[1] هذه هي حقوق الإنسان عند أهل البيت عليهم السلام.

مشتركات النبي صلى الله عليه وآله وسبطه الحسين عليه السلام:

الليلة نبين بعض نقاط المقارنة بين النبي صلى الله عليه وآله وبين الحسين عليه السلام:

١ _ الدفاع عن خلافة الإنسان الصالح:

رسـول الله صلى الله عليه وآله جـاء بنظريـة خلافـة الإنـسان الـصالح حيـث قـال القـرآن: ﴿إِنِّـي جاعِـلٌ فِـي الأَرْضِ خَلِيفَـةً﴾ والإمـام الحسين عليه السلام فـي حديثـه مـع الوليـد وهـو والـي الحكـم الأمـوي فـي المدينـة المنـورة، قـال لـه: «أيهـا الأميـر إنّـا أهـل بيـت النبـوة ومعـدن الرسـالة ومختلـف الملائكـة بنـا فـتح الله وبنـا يختـم ويزيـد شـارب الخمـور ومثلـي لا يبـايع مثلـه، ولكـن نُـصبح وتـصبحون وننظـر وتنظـرون، أيُّنـا أحـق بالخلافـة والبيعـة»[2] فالخلافـة ليـست ملكـاً دنيويـاً بـل هـي موقـع يجـب الـدفاع عنـه وان لا يتـسلط عليـه الجبـابرة

(1) نهج البلاغة ٢: ٢١٧/ خ ٢٢٤.

(2) اللهوف: ١٧؛ بحار الأنوار ٤٤: ٣٢٥.

والساقطون، الإمام الحسين عليه السلام كانت معركته لأجل الخلافة الصالحة.

٢ _ الدفاع عن حرية الإنسان:

رسول الله ﷺ دافع عن حرية الناس قائلاً عن الوحي: ﴿لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ﴾،[١] وقائلاً: ﴿وَما لَكُمْ لا تُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ وَالنِّساءِ وَالْوِلْدانِ﴾[٢] والإمام الحسين عليه السلام أيضاً كانت حركته من أجل الحرية لدى المسلمين على الأقل.

الحكم الأموي أراد أن يصادر الحرية والإمام الحسين عليه السلام أراد أن يحرر الإنسان، ولهذا فإن الحر الرياحي حينما التقى بالحسين عليه السلام في الطريق قال له: يا أبا عبد الله ما الذي جاء بك؟

الحسين عليه السلام قال له: هذه كتب أهل مصركم كتبوا إلي أن ليس علينا إمام فعجل يا بن رسول الله.

الحر الرياحي أنكر ذلك.

الإمام الحسين عليه السلام دعا بخُرجين مملوئين برسائل أهل الكوفة ورماها أمامه، الإمام يطالب بحرية سياسية للناس، ولا يقوم بانقلاب عسكري. فمجيئه كان بطلب من أهل الكوفة وهذا بحث مهم يذكره المؤرخون.

بعض الروايات تقول إن الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء طلب الانسحاب، وعدد من الباحثين ينكر ذلك ويقول إن الحسين عليه السلام لم يطلب الانسحاب، فلدينا رواية تقول إن الحسين عليه السلام قال لجيش الحر بن يزيد: «إذا كنتم لمقدمي كارهين، انصرفت عنكم إلى المكان الذي جئت منه إليكم»،[٣] وقد تكرر ذلك

---

(1) البقرة: ٢٢٦.

(2) النساء: ٧٥.

(3) الإرشاد ٢: ٧٩؛ مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٤٦؛ بحار الأنوار ٤٤: ٣٧٦.

في كربلاء عندما خاطب الحر جيش عمر بن سعد بقوله: ألا تقبلون من حسين خصلة من هذه الخصال التي عرض عليكم... إلى أن قال: فمنعتموه من التوجه في بلاد الله العريضة حتّى يأمن ويأمن أهل بيته؟ لكنهم رفضوا طلبه، وقالوا: إلا أن يبايع ليزيد.(١)

بعض الباحثين يتصور أن هذا الطلب هو تراجع من الحسين عليه السلام، والواقع ليس كذلك فهذا ليس تراجعاً سياسياً، أو تراجعاً عن خط الثورة، إنما هذا هو الموقف المبدئي، فالإمام يقيم عليهم الحجة قبل أن يتورطوا بقتله.

قتال الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء إنما كان بعد المحاصرة، وكان الحسين عليه السلام يطلب الماء. فهو لم يبدأ بقتال، بل دفعوه إلى كربلاء بعد محاصرته. فهو كان يتجه باتجاه الكوفة، إذن أصبح قتاله هو دفاع عن النفس وعن حقوق الإنسان.

٣ _ الحسين عليه السلام والقرآن والصلاة:

في التاسع من محرم الحرام _ كما تعرفون _ لمّا اقترب جيش بن سعد من خيام الحسين عليه السلام قال لأبي الفضل عليه السلام: «إركب بنفسي أنت فانظر ماذا يريدون»، جاء قمر بني هاشم عليه السلام وسألهم ماذا يريدون؟

قالوا: جاء أمر الأمير إما أن ينزل الحسين على أمر الأمير ويبايع وإما أن نناجزكم الحرب.

رجع العبّاس إلى الحسين عليه السلام وأخبره، فقال له الحسين عليه السلام: «قل لهم: يمهلونا هذه الليلة حتّى نصلي لربنا فاني أحب الصلاة وتلاوة

---

(1) أنظر: مقتل أبي مخنف: ١٢٢؛ بحار الأنوار ٤٥: ١١.

القرآن وكثرة الاستغفار»، هذا هو مستوى علاقة الحسين بالقرآن.

ولهذا فإن رأس الحسين عليه السلام وهو مرفوع على القنا كان ينطق بالقرآن، لا يوجد رأس في الدنيا ينطق بالقرآن وهو مقطوع إلاّ رأس الحسين عليه السلام، رأس مضت عليه أيّام وهم يحملونه على القنا لكن ينطق بالقرآن ويتلو الكتاب. يقول زيد بن أرقم: مرّ بي رأس الحسين عليه السلام وهو على رمح وأنا في غرفة، فلما حاذاني سمعته يقرأ: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً﴾[1] فقفّ شعري وناديت: رأسك والله ـ يا بن رسول الله ـ أعجب وأعجب.[2]

هذه علاقة الحسين عليه السلام مع القرآن والاستغفار، وهكذا كان الرسول صلى الله عليه وآله لا يجلس مجلساً إلاّ واستغفر الله سبعين مرة، وهنا في كربلاء الحسين عليه السلام يطلب مهلة لكي يصلي ويتلو الكتاب ويستغفر.

٤ ـ الاخوة الإنسانية:

أليس الإسلام يقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[3] البشر كلهم اخوة من أم وأب؟ الحر الرياحي حينما التقى بالإمام الحسين عليه السلام كان معه ألف فارس فسقاهم الإمام الحسين عليه السلام عن آخرهم ماءاً وحتّى سقى خيولهم، هذا هو البعد الإنساني عند الحسين عليه السلام.

٥ ـ الدفاع عن المظلومين:

وهذه سُنَّة الإسلام وسُنَّة رسول الله صلى الله عليه وآله.

---

(1) الكهف: ٩.

(2) الإرشاد ٢: ١١٧.

(3) الحجرات: ١٠.

والحسين عليه السلام يوم عاشوراء جسَّد صورة الدفاع عن المظلوم، كان آخر من بقي للحسين عليه السلام من أهل بيته هو الطفل الرضيع.

دعا الحسين عليه السلام بولده ليودعه، أتته زينب _ وفي رواية أخرى أتته الرباب أم الرضيع _ وقالت: أطلب لهذا الرضيع قليلاً من الماء.

أقبل به الحسين عليه السلام وقد أجلسه في حجره وهو يقول: «بُعداً لهؤلاء القوم إذا كان جدك المصطفى خصمهم يوم القيامة».

وربَّ مرضعة منهن قد نظرت	**رضيعها فاحصَ الرجلين في**
فَقُل بهاجَرَ إسماعيل أحزَنها	**مَتى تشط عنه من حرّ الظما تُتُبِ**
وما حكتها ولا أم الكليم أساً	**غداة في اليَّم ألقته من الطلبِ**
هذي اليها ابنها قد عاد مرتضعاً	**وهذه قد سُقي بالبارد العذبِ**
فأين هاتان ممن قد قضى عطشاً	**رضيعها ونأى عنها ولم يَئُبِ**

إنا لله وإنا إليه راجعون.

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾.

* * *

(١٠ / محرم الحرام / ١٤٢٧ هـ)

المحاضرة التاسعة:

البراءة مشروع طوّره الإسلام

وطبّقه الحسين عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب إمامنا الحسين عليه السلام رسالةً إلى رؤساء البصرة يقول فيها:

«وأنا أدعوكم إلى الله وإلى نبيه صلى الله عليه وآله فإن السُنّة قد أُميتت، وان البدعة قد أُحيِيَت فإن تجيبوا دعوتي وتطيعوا أمري أهدكم إلى سبيل الرشاد والسلام عليكم ورحمة الله».[1]

الحديث هذه الليلة وهي التاسعة من المحرم، يجب أن يأخذ لمحة عن وقائع هذه الليلة ولكن استمراراً مع أحاديثنا السابقة عن الحركة الاصلاحية لدى الأنبياء عليهم السلام ثمّ حركة نبينا صلى الله عليه وآله حتّى نصل لحركة الحسين عليه السلام، نود أن نسلط أضواءاً أخيرة على حركة نبينا صلى الله عليه وآله الاصلاحية التغييرية.

مبدأ الولاية والبراءة:

لاحظوا ان الإسلام فيه أصول الدين وفيه فروع الدين. أصول الدين والمذهب خمسة وهي التوحيد، العدل، النبوة، الإمامة، والمعاد يوم القيامة.

أما فروع الدين فهي عبارة عن الواجبات الكبرى في الإسلام وهي حسب ما يلخصه علماؤنا وفقهاؤنا عشر واجبات كبرى وهي: الصلاة، الصوم، الحج، الزكاة، الخمس، الأمر بالمعروف، النهي عن المنكر، الولاية، البراءة والجهاد.

---

(1) مثير الأحزان: ١٧.

تجدون خمسةً من هذه الواجبات الكبرى ذات مدلول سياسي. وهي الجهاد، الأمر بالمعروف، النهي عن المنكر، الولاية والبراءة، وهناك واجبات ذات مدلول مشترك عبادي وسياسي كالحج، فالحج له مدلول عبادي وله مدلول سياسي أيضاً، هذا مؤتمر عالمي يُعقد في الحج لاعلان البراءة من أعداء الله، وهناك واجبات ذات مدلول اقتصادي مثل الزكاة والخمس.

حديثنا الليلة عن البراءة والولاية وهما أصل النظرية السياسية الاصلاحية في الإسلام.

هنا الإسلام يمتاز عن باقي الحركات والنظريات الاصلاحية بمادة الولاية والبراءة، اليوم أعرض لكم هذا الموضوع عرضاً منسجماً مع مشروع الحركة الاصلاحية.

أوّلاً: ما هو معنى الولاية والبراءة؟

الولاية لأولياء الله ودين الله والبراءة من أعداء الله. هذا هو معنى الولاية والبراءة، يجب على كل مسلم أن يوالي المؤمنين ويعادي أعداء الدين.

القرآن الكريم صريح في هذا الموضوع أنه لا يجوز لإنسان مسلم أن يكون محباً لأعداء الله ﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[١] إذا كنت مؤمناً فلا بدّ أن تعادي أعداء الله، هذا هو معنى البراءة من أعداء الله.

كما يشير القرآن إلى مبدأ الولاية بقوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ﴾[٢] هذه فكرة مبسطة عن الولاية والبراءة.

---

(1) المجادلة: ٢٢.

(2) التوبة: ٧١.

الولاية مشروع إبراهيمي:

البراءة هي مشروع أسَّسه إبراهيم الخليل عليه السلام.

إذا مضينا في تاريخ الحركات الاصلاحية للأنبياء عليهم السلام فالمفسرون يقولون إن البراءة هي من مميزات العهد الإبراهيمي، وخطوة متطورة في الحركات الاصلاحية.

نوح عليه السلام لم يعلن البراءة من أعداء الله فهو قد دعا عليهم ﴿رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّاراً﴾[١] **لكن البراءة بمعنى المقاطعة مع أعداء الله. فهذا تأسيس إبراهيمي.**

ولهذا فإن القرآن الكريم ينسب قضية البراءة إلى إبراهيم عليه السلام لاحظوا مثلاً القرآن يقول: ﴿قَدْ كانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إبراهيم وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآؤُا مِنْكُمْ﴾[٢] **أي إن أوّل من وضع مشروع البراءة والمقاطعة السياسية والنفسية مع أعداء الله هو إبراهيم عليه السلام، وكما حدّثتكم في محاضرات سابقة أن إبراهيم عليه السلام قد أسس مشروع الصلاة والحج، وهو أيضاً أسس مشروع البراءة** ﴿إِذْ قالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ **أي إن إبراهيم عليه السلام بهذا قد وضع خطاً أحمر بين أمّة الإيمان وبين أمّة الكفر** ﴿وَبَدا بَيْنَنا وَبَيْنَكُمُ الْعَداوَةُ وَالْبَغْضاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ﴾.[٣]

أصول السياسة الخارجيّة:

مشروع البراءة له مدلول سياسي، وهو يؤثر على السياسة

---

(1) نوح: ٢٦.
(2) الممتحنة: ٤.
(3) السابق.

الخارجيــة فــي الإســلام وأنــا لا أســتطيع أن أتنــاول هــذا الموضــوع الآن لسعته.

الإسـلام لـه سياسـة خارجيـة، فمـا هـي علاقتنـا الخارجيـة مـن وجهـة نظر إسلاميّة؟

اليوم العلاقات الخارجية في العالم تعتمد على مجموعة أصول:

الأصل الأوّل: المصالح المشتركة.

الأصل الثاني: التعايش السلمي.

الأصل الثالث: عدم التدخل في الشؤون الداخلية للشعوب الأخرى.

ولكـن الـدول الكبـرى اليـوم أضـافت أصـلين آخـرين بعيـداً عـن وثيقـة حقوق الإنسان أو مقررات جنيف الدولية.

الأصل الرابع: حماية المصالح الحيوية.

والأصل الخامس: هو الضربة الاستباقية.

يعنـي علـى بُعـد آلاف الكيلـو متـرات يقولـون: إن مـصالحنا الحيويـة موجـودة فـي الخلـيج فـلا بـدّ أن نتـدخل فـي الخلـيج. وبالتـالي تمتـد يـدهم لكـل شـعوب العـالم بعنـوان إن مـصالحنا الحيويـة موجـودة هنـاك. هـذا قـانون غير موجود في وثيقة الأمم المتحدة.

وهكذا مشروع الضربة الاستباقية الذي يجيز ضرب أي دولة أو شعب من الشعوب لمجرد افتراض انه يمثل تهديداً إحتمالياً لمصالح الدولة الكبرى.

الأصـل الـسادس: جاء الإسلام ووضع أصلاً جديداً في شأن العلاقات الخارجية وهو أصل البراءة من أعداء الله والولاية لأولياء الله، فالإسلام يهتم كثيراً بشان العلاقات الإنسانية، كيف تترتب العلاقات بين البشر؟

يقول الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «أقربكم مني غداً وأوجبكم عليّ شفاعةً هو أصدقكم لساناً، وآداكم للأمانة، وأحسنكم خلقاً وأقربكم من الناس»[1] التفتوا إلى إن النبي صلى الله عليه وآله لم يقل: أكثركم صلاةً أو صوماً، لاحظوا القضية الأخلاقية والإنسانية، ومعنى ذلك إن أقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في الجنّة من تتوفر فيه هذه الشروط الأربعة من العلاقات الإنسانية، إذن الإسلام يريد علاقات إنسانية صحيحة، الدين يهدف إلى علاقات إنسانية جميلة وصحيحة، العبادات هي كذلك أيضاً، فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولهذا فالإنسان الذي لا يغضب لله وللمظلومين وللحق فلا يفيده دعاؤه ولا صلاته، المطلوب أن يكون لديه غضب لله وهذا أحد امتيازات المسلمين، وبالخصوص شيعة أهل البيت عليهم السلام، فالحمية لله ودين الله هي جوهر الدين.

قصة العابد المتقاعس:

لهذا عندنا رواية عن الإمام الصادق عليه السلام في قصة جميلة مفصلة أذكر موجزها:

إن الله تبارك وتعالى أهبط اثنين من الملائكة إلى قرية من القرى لكي ينزلا على تلك القرية العذاب، فنزل الملكان ووجدا عابداً متضرعاً في حال القنوت.

قال أحدهما للآخر: كيف نقلب هذه القرية على أهلها وهذا العابد فيها يصلي؟

---

(1) مسند زيد بن عليّ: ٣٩٠.

فقال أحدهما: أنا سأرجع إلى الله تعالى وأسأله وأقول له: إلهي هذه القرية التي أمرتنا أن نقلبها على أهلها فيها عابد مشغول بالقنوت والخشوع والبكاء والدموع، فهل صحيح أن نقلبها على أهلها وفيها هذا العابد؟

الله تبارك وتعالى قال له: نعم هذه القرية تُعذّب ويموت أهلها بما فيهم ذلك العابد.

فتعجَّب المَلَك وقال: حتّى ذلك العبد تسيخ به الأرض؟

قال تعالى: نعم.

قال: لماذا؟

قال: إن هذا لم يتمعّر وجهه قط غضباً لي.(١)

أي إن هذا رجل عابد لكن ليس لديه ذرة غضب لله فهو يصلي كثيراً ويدعو كثيراً لكن لا يفكر بهموم الإسلام والمسلمين والشعوب والفقراء والضعفاء والظلم الذي يجري على الناس.

سوف نعرف أن جوهر الدين هو الغضب لله وللحق، والحق يعني العدالة، والعدالة تعني رحمة الناس.

جاء الإسلام بعد موسى وعيسى عليهما السلام واستمر مشروع البراءة، وحين جاء الإسلام طوّر مشروع البراءة وجعله أصلاً من أصول العلاقات الخارجية، أي إن الأصل التاسع والعاشر من فروع الدين هما البراءة والولاية، فبدون ولاية لا يُقبل إسلام المسلم ولا يُقبل إيمان المؤمن.

وأنزل الله سورةً اسمها سورة براءة وتسمى (سورة التوبة) التي تبدأ **بقوله:** ﴿بَراءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلى الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.(٢)

---

(1) أنظر: الكافي ٥: ٥٨. (تمعّر): تغيّر وعَلَتْهُ صُفْرَة.

(2) التوبة: ١.

وفي آية أخرى: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾.(١)

سورة براءة حينما نزلت بعثها رسول الله صلى الله عليه وآله بيد أبي بكر في اليوم العاشر من ذي الحجة أي يوم العيد، والحجاج مجتمعون في منى.

قال: هذه سورة براءة هي بداية القطيعة السياسية بين الأمّة الإسلاميّة وبين الأمّة الكافرة، فقبل سنة كان المسلمون والمشركون يحجون معاً، فالمشركون لديهم حج أيضاً لكن حجهم للأصنام الموجودة على الكعبة، أمّا الآن وفي السنة التاسعة للهجرة فقد نزلت سورة براءة وكانت عبارة عن قرار سياسي بالقطيعة بين الأمّة الإسلاميّة وبين الأمّة الكافرة، هذه السورة بعث بها رسول الله صلى الله عليه وآله بيد أبي بكر ليقرأها على المسلمين في منى في مكّة المكرمة، ليكون ذلك اعلاناً سياسياً عن القطيعة، وباجماع المؤرخين من الفريقين ذهب أبو بكر وبيده سورة براءة وهي تصريح سياسي خطير لكي يقرأها على المسلمين.

نزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يا رسول الله لا يقرأ سورة براءة إلاّ أنت أو رجلٌ منك ومن دمك.

فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام على راحلته مسرعاً إلى أبي بكر وقال له: يا أبا بكر اعطني سورة براءة.

قال أبو بكر: أنا ممثّل رسول الله صلى الله عليه وآله فلماذا أعطيك سورة براءة؟ أنزَلَ فيّ شيء؟

قال: لا، لكن هكذا الأمر من رسول الله صلى الله عليه وآله.

---

(1) التوبة: ٣.

سلَّم أبو بكر سورة براءة إلى عليّ عليه السلام _ باجماع المؤرخين _ ورجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقال: يا رسول الله هل نزل فيّ شيء؟

قال: لا، ولكن نزل جبرئيل عن الله تبارك وتعالى يقول: لا يقرأ سورة براءة إلاّ أنت أو رجلٌ منك ولم يكن إلاّ عليّ عليه السلام.[1]

سورة براءة التي هي تصريح سياسي تحتاج إلى ممثل من الدرجة الأولى، وكان هو عليّ عليه السلام.

سوف تسألون _ وهذا المجلس بحمد الله فيه أساتذة وفضلاء وشباب متفتح _ وتقولون: إذن كيف تجتمع البراءة من أعداء الله مع نظرية التعايش السلمي المطروح اليوم؟ أي هل سنتقاتل مع الصين واليابان وكوبا وألمانيا؟ فهل هذا معنى البراءة؟

الجواب: إن هناك قانونين تعتمد عليهما السياسة الإسلاميّة:

القانون الأوّل: يسمى قانون البراءة والولاية.

القانون الثاني: هو قانون التعايش السلمي.

الإسلام يؤمن بهذا القانون، بل الإسلام يؤمن بقانون ثالث أكثر تطوراً مما هو موجود اليوم لدى العالم. وهو قانون الاحسان للآخرين.

القانون الأوّل: البراءة، وهي تعني المقاطعة النفسيّة والعقائدية مع غير المسلمين. والمقاطعة هنا لا تعني المواجهة والدخول في معركة، بل هي حالة نفسيّة عقائدية وتنعكس سياسياً على مستوى الانفصال السياسي بين أمّة الإسلام وأمّة الكفر.

---

(1) أنظر: علل الشرائع ١: ١٨٩.

القانون الثاني: التعايش السلمي الذي يعني التعامل الاجتماعي الايجابي بدون عدوان ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾.(١)

أي إن كانوا مسالمين فأنتم أيضاً مسالمون معهم.

القانون الثالث: الاحسان للشعوب الأخرى، وهو يعني خطوة متقدمة على خطوة التعايش السلمي. المطلوب هو الإحسان للشعوب الأخرى حتّى لو افترضنا انهم عبدة البقر أو الأصنام، حتّى وإن كانوا من الأديان الأخرى، فموقفنا تجاههم يكون كما في قوله تعالى: ﴿لا يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾(٢) **هذه هي السياسة الإسلاميّة للبشرية كلها.**

النقطة التي طوّرها الإسلام في الحركة الاصلاحية للأنبياء عليهم السلام هي مسألة الولاية والبراءة، حيث جعلها أصلاً في العلاقات الإنسانية بدءاً من إبراهيم عليه السلام، وجاء الإسلام وطوّر ذلك فقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.(٣)

مشكلة بني إسرائيل:

ويلخصها القرآن في قوله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ عَلى لِسانِ داوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذلِكَ بِما عَصَوْا وَكانُوا يَعْتَدُونَ * كانُوا لا يَتَناهَوْنَ عَنْ مُنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ ما كانُوا يَفْعَلُونَ * تَرى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ

---

(1) الأنفال: ٦١.

(2) الممتحنة: ٨.

(3) التوبة: ٧١.

كَفَرُوا لَبِئْسَ ما قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذابِ هُمْ خالِدُونَ﴾(1) **أي ليس لديهم براءة من أعداء الله، الإسلام يريد براءة من أعداء الله بأعمق المستويات.**

في زمن عيسى عليه السلام حسب رواية عن الإمام الصادق عليه السلام: أن عيسى عليه السلام مرّ على قريةٍ مات أهلها جميعاً، وقف عندهم عيسى عليه السلام قال: يا أهل هذه القرية انهضوا، وإذا بشاب قد نهض من بين تلك القبور وتلك الأجساد.

وقال: لبيك يا روح الله.

سأله عيسى عليه السلام: ما خبركم؟

قال: خبرنا كنّا نعبد الطاغوت ونحب الدنيا فأنزل الله تعالى علينا العذاب.

قال: كيف كانت عبادتكم للطاغوت؟

قال: الطاعة لأهل المعاصي.

قال: كيف كان عاقبة أمركم؟

قال: بتنا ليلة في عافية وأصبحنا في هاوية.

قال: لِم كلمتني أنت دون بقية الناس الموتى في هذه القرية؟

قال: يا روح الله إني كنت فيهم ولم أكن منهم، فلما نزل العذاب عمّني معهم.

أي إن هذا الشاب لا توجد لديه براءة من أعداء الله فلو كانت لديه براءة منهم لم يكن يجلس معهم فشمله العذاب السماوي معهم.

أيها الشباب إذا وجدتم أناساً غير صالحين، لا تجلسوا معهم لأنه في أي لحظةٍ سينزل عليهم عذاب أو نقمة فإنه يشمل من كان معهم،

(1) المائدة: ٧٨ - ٨٠.

احذروا أن تجلسوا في مجالس الفاسقين والمجرمين فإنكم سوف تتلوثون بهم فإنهم مرضى ومرضهم مُعدٍ فاحذروا من مجالستهم.

فقال عيسى بن مريم عليهما السلام لما سمع ذلك: «أكل الخبز اليابس بالملح الجريش والنوم على المزابل أفضل مع عافية الدين والآخرة».[1]

ليلة عاشوراء:

الليلة هي ليلة عاشوراء والإمام الحسين عليه السلام كانت انطلاقته قائمة على أساس أصل الولاية والبراءة من أعداء الله، ولهذا فإن الحسين عليه السلام كتب كتاباً لأهل البصرة يقول فيه: «اني أدعوكم إلى كتاب الله وسُنة رسوله فإن السُنة قد أُميتت والبدعة قد أُحييت» أي إن نهضتي هي من أجل إعادة الأمور إلى مجاريها الصحيحة، وإعادة العمل بكتاب الله وسُنة رسول الله صلى الله عليه وآله ومن أجل رفض البدعة، هذه حركة الحسين عليه السلام.

أنتم تعلمون أن الحشود قد اجتمعت يوم السابع من محرم الحرام أي اكتمل جيش ابن سعد ثلاثين ألفاً يوم السابع من محرم، وبدأ الحصار على الحسين عليه السلام وجعل أربعة آلاف مقاتل على المشرعة يوم السابع والثامن والتاسع من محرم، وهي أيام تاريخية دام فيها الحصار على الحسين عليه السلام.

لكن الحسين عليه السلام مرةً أرسل كتيبة من الأنصار نزلوا إلى الماء بعد أن كشفوا القوات وملأوا القرب وعادوا إلى الحسين عليه السلام.

وفي يوم آخر الحسين عليه السلام تقدم عدة خطوات خلف الخيام وأمر أن يُحفر له بئر فحفروا وإذا بعين ماء فملأ الحسين عليه السلام منها القرب وارتووا جميعاً من ذلك الماء.

---

(1) أنظر: الكافي ٢: ٣١٩، عنه البحار ٧٠: ١٠.

وكان في جيش ابن سعد عيون وجواسيس وفوراً أرسلوا إلى ابن زياد أن الحسين يحفر عيون الماء وبالتالي فإن خطتنا العسكرية فاشلة، ولهذا كتب ابن زياد إلى ابن سعد: أنه بلغني أن الحسين يحفر الآبار والعيون فامنعه من ذلك.

لكن بدون حاجة إلى منع فالعين التي حفرها الإمام الحسين عليه السلام قد غارت وانتهت، ويبدو أن هذا كان جزءاً من المخطط الإلهي للحسين عليه السلام حتّى يصل يوم العاشر من محرم الحرام.

استطاع الحسين أن يواصل جهده قبل أن تنشب المعركة يوم العاشر من محرم الحرام.

في هذه الليلة لدينا ثلاثة مشاهد في كربلاء:

المشهد الأوّل: التفرغ العبادي.

المشهد الثاني: الاعداد العسكري.

المشهد الثالث: الحديث التوديعي.

التفرغ العبادي:

التاريخ يقول في هذه الليلة كان يُسمع للحسين عليه السلام وأهل بيته دويٌّ كدويّ النحل بقراءة القرآن والدعاء والمناجاة، حتّى مرَّ واحد من جيش ابن سعد وسمع الحسين عليه السلام يقرأ قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.[1]

وقد طلب الحسين عليه السلام المهلة في هذه الليلة ليتفرغ للعبادة ولقراءة القرآن.

---

(1) آل عمران: ١٧٨.

الحسين عليه السلام في هذه الليلة رأى رؤيا في المنام بعد أن أخفق برأسه، رأى رسول الله صلى الله عليه وآله في فجر هذه الليلة يقول له: «يا بني أنت شهيد آل محمّد، وقد استبشر بك أهل السماوات وأهل الصفيح الأعلى، فليكن افطارك عندي الليلة، عجل ولا تؤخر، فهذا ملك قد نزل من السماء ليأخذ دمك في قارورة خضراء».[١]

الحسين عليه السلام في هذه الليلة رأى مناماً آخر حدّث به أصحابه قال: «أنا رأيت الليلة في المنام أنّ كلاباً قد شدت عليّ لتنهشني وفيها كلب أبقع، وأظن ان الذي يتولى قتلي رجلٌ أبرص من بين هؤلاء القوم»[٢] وكان ذلك هو شمر بن ذي الجوشن.

الاعداد العسكري:

إن الحسين عليه السلام لديه من القوات سبعون رجلاً، لكن لا بدّ من تحصينات عسكرية، فأمر أوّلاً بتقارب الخيام بعضها من البعض الآخر ليتمكنوا من حمايتها بعددهم القليل هذا، فقرّبوا بين الخيام.

ثمّ أمر الحسين عليه السلام بأن يحفر خندق خلف الخيام وتضرم فيه النار، فحفروا الخندق وملؤوه حطباً ثمّ أضرموا النار في ذلك الحطب لئلا تكون معبراً خلفياً للأعداء.

ولهذا لما أضرمت النيران في هذا الخندق قال قائل من جيش ابن سعد: يا حسين استعجلت بالنار.

الرواية تقول إن الإمام الحسين عليه السلام دعا عليه وقال: «اللهم أحرقه بالنار».

---

(1) أنظر: بحار الأنوار ٤٥: ٣.

(2) السابق.

جاء هذا الرجل من وراء الخيام وعبر الخندق لكنه وقع من فرسه وبقيت رجله معلقة في الركاب والبدن على الأرض والفرس يجول به حتّى مات.

فقال القائلون: إن للحسين كرامة عند الله، وأحرقت النار ذلك الرجل استجابةً لدعاء الإمام الحسين عليه السلام.

محادثات التوديع:

الحسين عليه السلام في منتصف الليل خرج من الخيام، يقول نافع بن هلال وهو حارس للحسين عليه السلام: خرجت خلف الحسين والليلة كانت مظلمة فقال الحسين: أنافعٌ هذا؟

قلت: نعم، فداك نافع يا بن رسول الله.

قال: ما تريد؟

قلت: يا بن رسول الله جئت أحرسك من الأعداء.

قال لي: يا نافع هل لك أن تسلك بين هذين الجبلين فإن القوم لا يطلبون غيري، فوقع نافع على قدميه يقبلهما ويقول: سيدي إن سيفي بألف وفرسي بألف لا والله يا بن رسول الله لا تركتك حتّى يكلاّ عن جري وفري، ثمّ يقول نافع رجعت مع الحسين عليه السلام ودخل الإمام إلى خيمة أخته العقيلة زينب عليها السلام وهذا هو المشهد الثالث وهو حديث التوديع.

يقول: سمعت زينب والحسين يتحادثان فتقول له: أخي أبا عبد الله هل استعلمت أصحابك؟ اني أخشى أن يخذلوك عند الوثبة.

الحسين عليه السلام قال لها: «أُخيَّة زينب قد خبرتهم وبلوتهم، فلم أجد فيهم إلاّ الأشوس الأقعس، يستأنسون بالمنية دوني».

ولما سمع ذلك نافع بن هلال عاد فوراً إلى خيام الأنصار فنادى بهم: يا

ليوث الكريهة، يا فرسان الهيجا، فنهضوا يتقدمهم حبيب بن مظاهر وهو يقول: ما الخبر؟ قال نافع: يا حبيب يا اخوتي الأنصار إن زينب قلقة من وضعنا وغير مطمئنة إلى نصرتنا، سمعتها تقول للحسين عليه السلام: هل استعلمت أصحابك...؟

قال حبيب: إذن يا نافع ما نصنع؟

قال: تعالوا نمضي جميعاً لنطمئن قلوب الهاشميات.

جاء حبيب ومعه الأنصار، وقف عند خيمة العقيلة زينب عليها السلام قائلاً: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة وموضع الرسالة هذه سيوف غلمانكم أبوا أن يغمدوها إلاّ في صدور من يريد السوء بكم.[1]

خرجت النسوة تقول: حاموا عن حرائر رسول الله.

إنا لله وإنا إليه راجعون.

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾.

* * *

(1) أنظر: مقتل الحسين للمقرم: ٢٦٥.

مصادر التحقيق

القرآن الكريم.

أبو طالب حامي الرسول ﷺ: نجم الدين الشريف العسكري/ ط ٤.

الاحتجاج: الشيخ الطبرسي/ ت محمّد باقر الخرسان.

الأمالي: الشيخ الصدوق.

الايضاح: ابن شاذان النيسابوري/ ت جلال الدين الحسيني.

الإرشاد: الشيخ المفيد/ ت مؤسسة آل البيت عليهم السلام.

اعلام الورى: الشيخ الطبرسي/ ت مؤسسة آل البيت عليهم السلام/ ط ١.

بحار الأنوار: العلامة المجلسي/ ط ٢ المصححة/ ١٤٠٣هـ.

البداية والنهاية: ابن كثير/ ت عليّ شيري/ ط ١/ ١٤٠٨هـ.

تاريخ الطبري: الطبري/ ط ٤/ ١٤٠٣هـ/ مؤسسة الأعلمي/ بيروت.

تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر/ ت عليّ شيري/ دار الفكر.

تحف العقول: ابن شعبة الحراني: ت عليّ أكبر الغفاري/ ط ٢.

تفسير جوامع الجامع: الطبرسي/ مؤسسة النشر الإسلامي/ ط ١/ ١٤١٨هـ/ قم.

تفسير القرطبي: محمّد بن أحمد القرطبي/ ط دار إحياء التراث.

تفسير القمي: عليّ بن إبراهيم القمي/ مؤسسة دار الكتاب/ ط ٣/ ١٤٠٤هـ/ قم.

تفسير مجمع البيان: الطبرسي/ ط ١/ ١٤١٥هـ/ مؤسسة الأعلمي/ بيروت.

الثاقب في المناقب: ابن حمزة الطوسي/ ت نبيل رضا علوان/ ط ٢.

الجواهر السنية: الحر العاملي/ مكتبة المفيد/ قم.

حياة الإمام الحسين عليه السلام: باقر شريف القرشي/ ط ١.
الخصال: الشيخ الصدوق/ ت عليّ أكبر الغفاري/ جماعة المدرسين.
دلائل الإمامة: محمّد بن جرير الطبري (الشيعي)/ مؤسسة البعثة/ ط ١/ قم.
روضة الواعظين: محمّد بن الفتال النيسابوري/ ت محمّد مهدي الخرسان.
السرائر: ابن إدريس الحلي/ ت لجنة التحقيق/ ط ٢/ ١٤١٠هـ .
سنن الترمذي: الترمذي/ ط ٢/ ١٤٠٣هـ/ دار الفكر العربي/ بيروت.
سنن النبي صلى الله عليه وآله: محمّد حسين الطباطبائي/ ت محمّد هادي الفقهي.
شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد/ ت محمّد أبو الفضل/ إحياء الكتب العربية.
صحيفة الإمام الحسين عليه السلام: جواد قيومي/ ط ١.
عدة الداعي: أحمد بن فهد الحلي/ ت أحمد الموحدي/ مط حكمت/ قم.
علل الشرائع: الشيخ الصدوق/ مط الحيدرية/ النجف الأشرف.
عوالم الإمام الحسين عليه السلام: عبد الله البحراني/ ط ١/ ت مدرسة الإمام المهدي.
عيون أخبار الرضا: الصدوق/ ط ١/ ١٤٠٤هـ/ مؤسسة الأعلمي/ بيروت.
الغدير: الشيخ الأميني/ ط ٤/ ١٣٩٧هـ/ دار الكتاب العربي/ بيروت.
قاموس الكتاب المقدس: مجمع الكنائس الشرقية/ ط٦/ ١٩٨١م/ مكتبة المشعل.
قرب الاسناد: عبد الله الحميري/ ت مؤسسة آل البيت عليهم السلام/ ط ١/ قم.
الكافي: الشيخ الكليني/ ت عليّ أكبر الغفاري/ ط ٣/ ١٣٨٨هـ .
كامل الزيارات: ابن قولوية القمي/ ت جواد القيومي/ ط ١/ ١٤١٧هـ .
كفاية الأثر: الخزاري القمي/ ت عبد اللطيف الحسيني/ انتشارات بيدار.
كلمات الإمام الحسين عليه السلام: محمّد الشريفي/ دار المعروف/ ط ٣/ ١٤١٦هـ/ قم.
كمال الدين وتمام النعمة: الصدوق/ ت الغفاري/ مؤسسة النشر الإسلامي.
كنز الفوائد: محمّد بن عليّ الكراجكي/ ط ٢.

كنز العمال: المتقي الهندي/ ت الشيخ بكري حياني، الشيخ صفوة السقا.
لسان العرب: ابن منظور/ ط ١٤٠٥هـ/ نشر أدب الحوزة/ قم.
اللهوف: ابن طاووس/ ط ١/ ١٤١٧هـ/ مط مهر/ نشر أبو أنوار الهدى/ قم.
لواعج الأشجان: محسن أمين/ ط ١/ ١٣٣١هـ/ مط العرفان.
مأساة الزهراء عليها السلام: السيد جعفر مرتضى العاملي.
المبسوط: الشيخ الطوسي/ ت محمّد تقي الكشفي/ مط الحيدرية/ طهران.
المجالس الفاخرة: شرف الدين/ ط ١/ ١٤٢١هـ/ مؤسسة المعارف الإسلاميّة/ قم.
مثير الأحزان: ابن نما الحلي/ ط ١٣٦٩هـ.
مدينة المعاجز: هاشم البحراني/ ت عزة الله المولائي/ ط ١.
المزار: الشيخ المفيد/ ط ١/ نشر مدرسة الإمام المهدي/ قم.
المسائل العكبرية: الشيخ المفيد/ ط ٢/ ١٤١٤هـ.
مستدرك الوسائل: المحقق النوري الطبرسي/ مؤسسة آل البيت عليهم السلام/ ط ١.
المسترشد: الطبري الإمامي/ مؤسسة الثقافة الإسلاميّة/ لكوشابنور/ ط ١.
مسند زيد بن عليّ: زيد بن عليّ/ منشورات دار مكتبة الحياة/ بيروت.
مشكاة الأنوار: عليّ الطبرسي/ ط ٢/ مط الحيدرية/ ١٣٨٥هـ/ النجف.
مقاتل الطالبيين: أبي الفرج الاصفهاني/ ط ٢.
مقتل الحسين عليه السلام: السيد عبد الرزاق المقرّم.
مقتل الحسين عليه السلام: أبي مخنف الأزدي/ نشر مكتبة المرعشي/ قم/ ١٣٩٨هـ.
مقتل الحسين عليه السلام: الموفق الخوارزمي.
مكارم الأخلاق: الطبرسي/ منشورات الشريف الرضي/ ط ٣/ ١٣٩٢هـ.
مناقب أمير المؤمنين: محمّد بن سليمان الكوفي/ ط ١/ ١٤١٢هـ/ قم.
ميزان الحكمة: محمّد الري شهري/ ت ونشر دار الحديث/ ط ١/ قم.

نهج البلاغة: الشريف الرضي/ ت محمّد عبدة/ طبع ونشر دار المعرفة/ بيروت.
نهج السعادة: محمّد باقر المحمودي/ ط ١/ ١٣٩٦هـ.
الهداية: الشيخ الصدوق/ ت مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام/ ط ١/ ١٤١٨هـ.
ينابيع المودة: القندوزي/ ت عليّ جمال أشرف الحسيني/ ط١/ ١٤١٦/ دار أسوة.

* * *

فهرست الموضوعات

* * *